١٥١٦

كتاب

التاج المرصع

بجواهر القرآن والعلوم

تأليف

* طنطاوي جوهري *

وهو الكتاب الذي أرسل الى جلالة أمبراطور اليابان

لعرضه على المؤتمر في أوائل انعقاده

(التزم طبعه)

حضرة الحاج محمد افندى ساسى التاجر بجوار محافظة مصر

« مطبعة التقدم بمصر »

كتاب

التاج المرصع

بجواهر القرآن والعلوم

تأليف

﴿ الأستاذ الشيخ طنطاوي جوهري ﴾





وهو الكتاب الذي أرسل الى جلالة أمبراطور اليابان

لعرضه على المؤتمر في أوائل انعقاده





(التزم طبعه)

حضرة الحاج محمد افندي ماسى التاجر بجوار محافظة مصر



مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر ١٣٢٤ﻫ ١٩٠٦



طالما خطر لي أن أضع نموذجاً لعلوم الدين الاسـلامي يتضمن ما يطلبه من الحقائق وما يألفه من الحكم حتى قام قائم الحركة الفكرية فى دولة أبناء الشمس المشرقـة باليابان فرأيت أن أبرز الفكر الى العمل فوضعت كتاباً سميته التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم وذلك فى شهر اكتوبر سنة ١٩٠٥ ثم اتفق أن رأته لجنة يرأسها صديقي العلامة الفاضل محمود بك سالم فاهتم بترجمته الى لغات أوربا ونشره فى أرجاء المعمورة شرقاً وغرباً فعسى الله أن يكلل عمله بالنجاح وهاهو يترجمه الآن شاب قازاني الى اللغة التركية كي يعم نشره في بلاد العجم والترك والروس ثم بعـد ذلك عقد مؤتمر اليابان فى سنة ١٩٠٦ أي في هذا العام فصرت أقدم رجلا وأؤخر

أخرى أأرسله اليه وهو باللغة العربية أم أتربص انجاز وعد صديقي محمود بك سالم بالترجمة وبينا أنا كذلك اذ اقترح عليّ أخ لي صديق أن أهديه الى امبراطور اليابان ليعرضه على هيئة المؤتمر فانشرح صدري لذلك فأرسلته بخطاب الى جلالة الميكادو وهذا نصه

جلالة الامبراطور المعظم ملك اليابان

أرفع لجلالتكم التبجيل والتعظيم وأقدم لكم كتاباً ضمنته اجمال ما زاولته من حقيقة الدين الاسلامى فى الجامع الازهر الشريف وما طالعته من أسفار الاوائل حكماء العرب وفلاسفة اليونان وما لاحظته من العلوم العصرية ومقارنتها بالقرآن الشريف في المدارس المصرية ولذلك سميته التاج المرصع بجواهر القرآن والعلوم واني من مبدأ حياتى مغرم بالبحث عن الحقائق العلمية ومقارنتها بالاديان بحرية الفكر

وان أعجب شيء فى حياتى وأجمله أن أرى ملكا عظيم الشان مثل جلالتكم يوجه النفوس الى ما اشتاقت اليه نفسى وهام به فؤادي من هـذا المقصد الشريف العالي فلم أر بدا

من جمع حقائق وعاها الصدر واشتغل بها الفكر واهدائها لجنابكم اعظاماً واجلالا وقياماً بشكر الله على أن قيض للعالم فيكم ملكا ناصراً للعلم والحكمة

أهديه لجلالتكم باللغة العربية لغة الدين الاسلامي وعجلت به اليكم قبل أن يترجم الى لغة أخرى من لغات التخاطب فى المؤتمر خيفة فوات الفرصة فانى أرجو أن يعرض على هيئة المؤتمر وعسى أن يقرأه من أعضائه من جمع بين اللغتين باتقان فان وصل الكتاب متأخراً بعد انفضاض المؤتمر فاني أرجو عرضه على حكماء دولة اليابان العظيمة مترجماً بأمركم فلعل فى شبان اليابان من يرى فى سلسلة هذا الكتاب ما يوافق مشربه من البحث وان علمت نتيجة ذلك من بعد فانى لجلالتكم من الشاكرين

وقد كان ارسال الخطاب والكتاب في أوائل انعقاد المؤتمر ولما كان نشره في وطني وأبناء جنسى أوجب وألزم وأحرى وأحق أردت طبعه ليعم نفعه أبناء البلاد

﴿ وهذه هي الرسالة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمدك اللهم وأصلي وأسلم على نبيك وأتقرب لجنابك الرفيع زلفى بابراز ما أكنه الفؤاد من علوم الدين الاسلامي الى مشارق الارض ومغاربها . فسأوافى الشرقيين والغربيين بما اقتبسته من فرائده وما نظمته من قلائده واستمنحك اللهم روحا عالية وقوة قدسية تمدني بها حتى يبلغ الكتاب أجله وينال عبدك أمله ويصبح هذا الكتاب منهلا عذبا للواردين ومتبوء صدق للمتفكرين ولأذكر نموذج وقائعي المتابعة موسومة بالجواهر فأقول

﴿ الجوهرة الأولى . مبدأ نظرى فى العالم ﴾

خلقت بطبعي أميل الى النظر والتأمل فى العالم فكانت السنة عندي نصفين نصف أقضيه في الدرس والطرس فى

الجامع الازهر الشريف فى القواعد العربية والمسائل الفقهية كالمعاملات والعبادات العمليه فاذا عدت الى الحقول والمزارع في النصف الآخر أجلت فيها النظر وسرحت فيها الفكر فأرى جمالاً باهراً ومنظراً زاهراً وحسناً ناضراً وسلطاناً قاهراً فما تركت فاكهة ولا أباً ولا نجما ولا شجراً الا تأملت ألوانها الزاهرة وأشكالها الظاهرة ومحاسنها الناضرة وروائحها الجميلة وألوانها الزاهية الباهية فأقول ياليت شعري ألم يك هذا النظر أولى بمدارسنا الاسلامية أو ليس الذي خلق السماء فسواها . والارض فدحاها . والانهار فأجراها . والنبات فأنماها . والأشجار فأثمرها . والاثمار فكورها . والازهار فنورها . والروائح فأحسنها وصورها فزينها هو الذي خلق الاجرومية والنحو وفرض الصلاة والزكاة وأجري القرض والبيوع ورتب الميراث والحدود ولماذا لم يفرض علينا أن نلم بأطراف ما ذرأ في الكائنات وما أبدع فى المخلوقات ثم أظل نهارى مفكراً في ذلك فاذا جن الليل وأرخي سدوله عليّ أخذت أفكر فى النجوم وجمالها . والسماء وبهائها والارض

وجلالها وأحضر القرون الخالية والوحوش السانحة ثم أرجع الى من ذرأها وبرأها فأجد أساتذتي لا يحومون حول ذلك الا عرضاً وينبذونه نبذاً وغاية مايقولون ان هذا العالم حادث والحادث لابد له من محدث أما التعويل على حكمه وآياته والاغتراف من ينابيعه وأنهاره فذلك منبوذ نبذ النواة . فاذا رأوا مسائل طبيعية في كتاب قالوا فليقفل هذا الباب . فظللت حائراً بين نظرى والدين والتقليد واليقين . ومن العجب اني رأيت العلماء يقولون لا يصح الايمان الا بالعقل والبرهان . لا بالتسليم والاذعان فان نظرت الى تعاليمنا أجدها تقليدية وان نظرت ورجعت الى فطرتى الفيتها تسعى الى اليقين

﴿ الجوهرة الثانية . مقارنة الاديان ﴾

ومما زادنى شغفاً وأضنانى حزنا وأشعل في فؤادى نار الطلب انى قرأت يوما في قانون القرعة العسكرية ان للدين النصرانى لاهوتا وانهم يظلون يبحثون عن الخالق بعقولهم فكاد يغشى عليّ اذ ذاك وقلت إذن هم يبحثون كما نحن باحثون ويعلمون كما نحن عالمون فأى الفريقين أحق وأى

الحزبين أصدق وما زلت أروح وأغدو فى تيهاء تلك الحيرة وبيداء تلك الفكرة حتى اهتديت الى تاريخ حياة الامام الغزالي رحمه الله تعالى المتوفي فى أوائل القرن السادس فرأيته درج على ما دوجت عليه حتى اهتدى وذكر السر في حيرته والهدى في أوبته ففهمت رمزه وعرفت خبره

﴿ الجوهرة الثالثه . العالم والصانع ﴾

ثم كررت أحث ركاب الطلب في البحث عما شغل الفؤاد من العالم والصانع فوجدت فؤادى يتقد حرارة وشوقا وولوعا بادراك سر هذا الوجود ومعرفة صانعه ولكم حاولت تحويل القلب وارجاع الفكر واخماد الجذوة فلم يرعو الفؤاد ولم يزدجر العقل بل لاحظت انى كلما لويت عنانه جد في الطلب وحث ركاب التسيار وكان امامي خلة من خلتين اما ان أعلم ان هذا العالم موزون بميزان سائر على نواميس متقنة محددة فأقر بصانع قادر عالم مدبر له . واما ان أعلم انه مبعثر غير محكم فاقف موقف الكليل الطرف الحسير وايأس من كل ما اسمع من الموجودات العالية

﴿ الجوهرة الرابعة . تعليم التوحيد ﴾

طلبت هذه الحقيقة من علم التوحيد فقرأت فيه ببراهين أشبه ببراهين الهندسة في شكلها فينظمون المقدمات ويستنتجون النتائج لا يلوون على العالم ونظامه وما حواه من حكم وغرائب وأحكام وبدائع بل يفرضون الفروض ويبرهنون على وجود الصانع مثلا بأن العالم حادث وكل حادث لابد له من محدث والاله واحد ولو كان إثنان لحصل خلل وهو قادر ويبحثون عن القدرة هل هي صفة زائدة على الذات أو عين الذات وهو موجود والوجود هل هو عين الموجود أو غيره ولا يزال البحث هكذا فبهذا ترى خواص المسلمين صرفت عقولهم عن العالم وما أودع فيه من الجمال والترتيب والنظام بل نكتفي بان نعرف الله بتلك البراهين ومتى حصلنا نقنع النفوس بانها عالمة وان نحوى العالم وما فيه ان نعرف الله ونقول هي مصنوعاته ولا عبرة بالصنعة من حيث اتقانها وابداعها وربما يذكرون الاتقان عرضاً واجمالا لا قصداً وتفصيلا . فلما قرأت علم التوحيد أورثني بعض الاقناع

ولكن ألحت على النفس في مطلبها واسترسلت في مشربها وجدت في سبيلها وزادت فى غلوائها وأصرت على مقصودها فكررت راجعاً الى القرآن العزيز وهو لا يقرأ الا للبركة لا ليفهم معناه عادة

﴿ الجوهرة الخامسة . النظر في القرآن الشريف ﴾

ولأذكر لك قبل الكلام على القرآن مقدمة توضح المقصود فأقول . جاء القرآن والامة العربية في بداوتها فشغلتهم الفتوحات في القرن الأول وما زالت دولة الامويين وأخلفتها دولة العباسيين حتى استتبت الفتوحات ووقفت الحركات وأخذوا يجنون ثمارما غرسوا في الدولة السالفة فمدوا أيديهم الى كتب اليونان فترجموها واستعانوا بعلماء فارس اذ دخلوا فى دين الله أفواجاً فاستمدوا من اليونان كتبهم ومن الفرس رجالهم فشغل الناس بتلك الفلسفة وهي كما فى اخوان الصفا غامضة صعبة المراس ترجمها قوم ترجمة لغوية لا معنوية فاعتاصت على قارئيها وأخذت بالناس الى مهاوي وفيافى وأضلت أهل العلم فى الارض حيارى وأصحابهم يدعونهم الى

الهدى فلا يهتدون فترى أمثال ابن سينا والفارابي زعماءهم وابن رشد والغزالي خصمان فاحتدم بينهم الجدال والنضال فى ميدان المناقشات ولم يك للناس شغل شاغل الا ان هذه العلوم تنافى الدين وتناضله وتناوئ القرآن وأضحي عامة المسلمين من الادباء والفقهاء يقولون هذه كفر هذه فلسفة تنافي الدين . هذا كله في العقائد الاسلامية والعلوم الكونية وترى أمثال الشافعي رضي الله عنه وسفيان الثوري وأبي حنيفة وصاحبيه ومالك وابن حنبل دونوا الفقه للعبادات والمعاملات والحدود والجنايات وتقسيم المواريث . فانقسمت الامة اذ ذاك فريقين فريق يبحث عن الفلسفة وآخر فى الفقه فالفلاسفة هجروا القرآن بما استغرقوا أوقاتهم من شغل شاغل والفقهاء اذا كتفوا بما استنبطه المجتهدون قبلهم حرموا الاجتهاد ورجعوا الى ما صنف شيوخهم حتى انك لترى الاحكام فى هذه العصور مبنية على عرف الاعصر الأولى . وبالاجمال ان خاصة المسلمين وعامتهم بما شغلهم من الحروب الفادحة وظلم الملوك واستبدادهم نبذوا القران والنظر

فيه ظهريا وا كتفوا من العلوم الكونية برشحات الفلسفة اليونانية ومن الفقه بمصنفات شيوخهم الغابرين وعلمائهم السابقين وما جاء الزمان الذي تعلمت فيه الا والقرآن لا ينظر فيه الا تبركا ولا يجوز لاحد الاجتهاد فيه وطالما سمعت من شيوخي أن طلاب العلم يحرم عليهم التفسير الا بالتلقي من الشيوخ والشيوخ لا يفسرون الا بما دونته صحف الاوائل ويعتقدون ان لن يفتح على أحد بمثل ماعرف الاولون بل ان كتب الشافعى ومالك أصبحت لدنيا الآن بمثابة القرآن فى ان فهمها اعتاص على الناس فكل طبقة تنزلت فى أفكارها عمن قبلها . وهناك طائفة ثالثة نظروا فوجدوا الناس انبهروا من هاتين الطائفتين حيرى بين الفريقين سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الجدال والخلاف على العقول شديد فاجتهدوا ان اخترعوا أحاديث لفقوها وأكاذيب ابتدعوها ونسبوها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم ترد فى الصحيح خصوصاً بفضائل سور القرآن كما فى الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ولما سئل بعضهم قال قصدت بهذه الاحاديث

وافترائها ان أصرف وجوه الناس عن أمثال أبي حنيفة وفقهه الى القرآن فكان ما أراد وكثر قراء القرآن لمجرد التبرك وترك الناس المعنى ونبذوه نبذاً ظهريا حتى زماننا هذا

﴿ الجوهرة السادسة . حالي عند النظر في القرآن ﴾

لا عجب بعد أن سمعت هذه المقدمة اذا تلوت عليك من آيات العبر والمدنية والرقيّ والحضارة من القرآن وقد غفل عنه المسلمون . نعم لا عجب اذ قام عالم أمريكي يباحث العالم الخراسانى فى الدين الاسلامى فى هذه الايام ويقر العالم الامريكى بحقيقته ويكتب في الجرائد بذلك فى هذا العام فتردّ تلك الجرائد عليه بأن هذا دين المتوحشين والبرابرة ولو كان كما تقول لرقاهم وأزال عن أعينهم الغشاوة . وأنبت فيهم نباتاً حسناً أين آثاره . أقوام لا خلاق لهم جهلاء جامدون هذا كله قرأناه فى هذا الاسبوع في جرنال العالم الاسلامى فلا يعجب الغربيون بعد هذا البيان الذى رسمناه اذا رأوا فينا اعوجاجا وجهلا فقد ظهر الحق لذي عينين . اذا كان هذا حال الامة من أمد بعيد فكيف يكون حالي وأنا بين أقوام

حرموا على الناس ورود مناهل الكتاب الحكيم فلما حاولت الاهتداء بالقرآن رأيت من بين يدى سداً ومن خلفي سداً وانبعثت أبالسة الوهم وشياطين الجهالة تحوم حول العقل لتمنعه من الاقتباس وتحرمه من الاستضاءة بمشكاة نور القرآن فكسرت تلك الاغلال وفتحت تلك السدود . وجاوزتها الى المعانى ولكن لا البس الأمر على القارئ اني ما كسرت تلك القشور . ولا نبذت تلك الاغلال الا تدريجاً شيئاً فشيئاً قليلا قليلا ثم تلقيته عن الاشياخ وبعد ذلك نظرت فى علوم الغزالي فرأيت الرجل بحراً خضما ومصلحاً عظيما وطريقته في تعليم الشريعة والتوحيد الجمع بين مصالح الدنيا والدين . وأول ما اتفق لي من القرآن انى كنت أقرأ في اثر (تفكر ساعة خير من عبادة سنة) وروى انه صلي الله عليه وسلم قال لقد أنزلت عليّ الليلة آية ويل لمن قراها ولم يتدبرها ويل له ويل له ثم قرأ قوله تعالى (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد

موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) فقرأت هذه الآية وعرضتها على عقلى ثم طفقت أنظر بنفسى في السماء والارض والسحاب والماء والهواء واقارن القول بالعمل وأتأمل تلك العجائب المدهشة وأقول ان الناس يعيشون ويموتون وهم غافلون لا يفكرون . ثم أخذت أبحث في آيات اخرى فرأيتها كثيرة جداً كقوله تعالى (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وقوله (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وأن عسي أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون) وقوله (ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون) كنت أقرأ هذه الآيات وأنظر معانيها وأتأمل في الحقول والمزارع والاعشاب

والاشجار والأثمار والحيوان

﴿ الجوهرة السابعة . الشوق الى العلوم ﴾

لما قرأت هذه الآيات وعرضتها على العقل وأخذت أنظر في الكائنات فرحت بها في بادئ الامر ثم ظهر لي ان لها مقادير وحسابا منظما فكنت أرى الاشكال مستديرة وبيضاوية والأثمار ذات مقادير وطعوم وروائح وألوان مختلفة ولا أدرى ما الاسباب المؤدية لذلك ولم اختلفت المقادير والاشكال والالون فازداد شوقي للعلوم والحكمة والطبيعة والفلسفة والكيمياء وعلم الحيوان والانسان والتشريح والنفس والرياضة من الحساب والهندسة والجبر والفلك فأخذت أقرأ بقايا الفلسفة القديمة بالازهر الشريف اذ كنت أقرأ مباحث الافلاك اليونانية والطبيعية والارضية والمعدن والنبات والحيوان والانسان ومعرفة الاله وصفاته واليوم الآخر ورأيتهم يقولون يلزم معرفة العالم أجمع حتى يكون الانسان حكيما ولكنى رأيت المباحث مبعثرة ناقصة فبحثت عن منبع غير هذا فأذن الله فدخلت مدرسة دار العلوم فلعمرك ما كنت

لا أعلم ان فى العالم كله فلسفة سوى ما درسنا ولا طبيعة غير ما قرأنا وكنت أظن كما أخبرنا شيوخنا ورسخ في نفوسنا أننا أرقى العالمين ولا يعرف أحد سوانا شيئاً فلما دخلت المدرسة وسمعت ان لديهم الطبيعة والكمياء أخذت أدرسها هي والحساب والهندسة والجبر والفلك وكنت أرى أن ديني يطالبني بذلك اذ رأيت القرآن ذكر هذه الاشياء فى نحو ٧٠٠ آية فتقرر فى عقلي أن من أمكنه معرفة هذه العلوم وجبت عليه ومن ظهرت له الحكمة فأعرض عنها واتبع هواه زلت قدمه وساء مثواه

﴿ الجوهرة الثامنة . هل العالم منظم (ايضاح لما مضى) ﴾

كنت أرى في النفس شوقا ان أقف على حقيقة نظام العالم فكان يظهر لي بادئ بدء انه غير منظم ولا محكم بل هو مبعثر مشوش غير محكم الترتيب كما أشرت اليه فيما مضى وطفقت أكل أمر التصديق بمبدع هذا العالم الى الوقوف على حقيقته ونظامه وطالما قلت في نفسى اذا علمت ان العالم منظم وأيقنت به فاني لا أرى بدا من الجد والتشمير فى

مرضاة صانعه وصرف الوكد اليه والعمل الخالص لوجهه مادمت حيا فاما اذا لم تظهر لي بارقة علم ساءت الحياة وضلت الوجهة وكان الخسران . طالما برزت الى الحقول والنسمات تغني على أعواد الاغصان بنغمات طبيعية والاثمار تتهادى طربا والازهار باسمة عجباً وأفئدة المغرمين بالمعارف تصبو شغفاً وتتيه عجبا وعجبا ولسان حال البرق ينطق بمحاسن الجمال ويعبر عن مكنون الكمال والرعد يقود جيوش العلم ويهزم جحافل الجهل ويزأر ويصول ويجول فى الجو ينادي ذوى النفوس الجامدة والعقول الخامدة ويزجر الجاهلين ليحشرهم فى محشر وصعيد واحد ليسمعوا آيات العبر وصنوف الحكمة ليحكم بينهم بالحق وينقسمون فريقين فريق الى سعادة العلم والنعيم وآخر الى شقاء جهنم الجهل والسعير . هذه المحاسن والبدائع لا تتجلى الا لذوى النفوس والفطن الصافية والعقول المنيره . نفوس استعدت للحكمة فصفت وراقت فقبلت نقوش الحكم وصور الجمال في ألواحها . فما من هبة نسيم فى نافذة أو غصن الا ولها معنى يبرزه صوت الحكمة أرسل

من المصادر العاليه الى تلك النفوس فتوحي اليها بأسرار يعجز عن ادراكها أولئك الغافلون . فاذا أصغى حكيم الى تلك الكلم الهوائية سمعها تطالبه بالتحقق من سر هذا العالم وهل هو منظم أو مبعثر وهل نحن نعيش عيشة مهملة أم هناك نظام شملنا بباطنه . تلك الحقيقة كم قطعت دونها الاعناق وضل في طريقها أقوام برعوا فى النحو والفقه والعربية وما شاكلها . لم يكن الوجدان وحده مطالبا بذلك العلم بل الكتاب الحكيم يقول (١) (وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم) (٢) والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون) (٣) (وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) (٤) (والسماء رفعها ووضع الميزان الا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) قد فسر الميزان بانه نظام كل شيء في العالم بحيث يكون كالموزون لا يزيد ولا ينقص وقوله ألا تطغوا فى الميزان يلزمنا أن نقلده ونحو نحوه فيما نزاوله من الاعمال وما نحاوله في معاشنا فلا نطغى فى ميزاننا ولا نجاوز الحد فيه فنزيد اذا

وزناً على غيرنا ولا نخسره ونبخسه وننقصه إذا وزنا لغيرنا وبعنا شيئاً وانا بذلك نقرب منه ونصنع كما يصنع فى العالم ويهندسه لنا ويحكمه لعباده (٥) (ان الله سريع الحساب) (٦) (وهو أسرع الحاسبين) (٧) (وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين) ولا معني لعلم ما فى البر والبحر وعلم ما تحت الثرى والرطب واليابس ووضع هذا فى كتاب الا مع ترتيب وأحكام ونظام وأسباب ومسببات والا كان العالم مشوشاً فالعلم به على مقتضاه لا يكون علما (٨) (انا كل شئ خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر) والقدر وضع الاشياء بمقادير محددة معينة وأوضاع معلومة وأحوال متناسقة ثم يقول ان أمره سريع كلمحة واحدة بالبصر ونظرة بالعين كما فى البرق والكهرباء وأحوال القلوب وأعمال الغيوب وهذه مرتبة كسابقتها منظمة متقنة كاخوانها (٩) لتركبن طبقاً عن طبق فما لهم لا يؤمنون) أي أحوال العالم متناسقة درجات بعضها فوق

بعض مرتبة ليست مبعثرة بل هي منظمة (١٠) (والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون) يقول ان الوزن يوم القيامة حق وهل يكون حقاً الا اذا كان الموزون وهي أعمال الدنيا موزونه صدقا بميزان عدل

﴿ الجوهرة التاسعة • المباحث المناسبة لنظام العالم ﴾

كنت اذا سمعت تلك الآيات أجدنى لا أزداد الا طلباً فأقول ياليت شعري من لي بأن أقف على هذا النظام ومن أين يصل الي أن كل شيء عنده بمقدار وبأي سبيل ينال قلبي التصديق بذلك والوقوف على حقيقة هذا ووددت لو أكون فى سرب مختفياً مجهولا لا يؤبه بي وأصل الى الوقوف على تلك الحقائق وأنال أمنيتي وكنت أطوف على شواطئ البحار وحافات الانهار وضفات الخلجان ألتمس حجراً مرسوماً جدداً وخطوطاً منتظمة او أرى حيواناً فيه آثار منتظمة ومتقنة لعلي أشم لهذا النظام رائحة وتارة كنت أعثر على حشرات صغيرة بين الأعشاب ذات خطوط

منتظمة مختلفة الألوان باهية زاهرة فكنت أتنسم منها نسيم الحكمة ومبادئ العلم . وما كان أشد شوقي اذ ذاك وولوعي وجدي فى الطلب وتشميري واسراعي الحثيث وصرف جهدي الى ما كنت ألتمسه بين الأكام والطلول والطرق والمسالك والنباتات ، انظر الطيور الطائرات وكيف تناسب أجنحتها جسمها وكيف لطفت من الامام وأتأمل ألوانها الزاهية الزاهرة وجمالها البهي وأنا في كل ذلك كأنى فى عالم غريب وكلما عرفت شيئاً زاد العالم غرابة وحسن طلعة . عشقت العلوم أجمعها فكنت أهفو للرياضيات وأميل للوقوف على أسرار الطبيعة . ولم أنس ليلة وقد زرت حميا لي اذ وقفت مساء عند سياج حديقته الغناء وهى تشرف على نهر جار يسمى أبا الاخضر بجانب قريتنا والنسيم يهب ومعي صاحب يحادثني وقد أطلعته على ماشاق نفسى وما يكنه الضمير من الولوع والشوق وأنا أقول له كأنى بهذه الاوراق تحلل الي العناصر أمامي وكأنى أطالع ماضمنته من الاغذية المتحابة والمتجانسة ولقد زاد شوقي لذلك وعي أن أدخل مدرسة دار العلوم هذه السنة ثم كان ذلك

وأخذنا ندرس فنون الطبيعه وأنني لاذكر أننا في بعض السنين اذ قضينا السنة وقفلنا الي قرانا بالسواد وبلاد الفلاحين أخذت اقرأ فى كتاب احياء العلوم للشيخ الغزالي فرأيته جمع مادرسناه أثناء تلك السنة من الطبيعة فى باب من كتاب الاحياء تحت عنوان الشكر وجعل مادرسناه عنوان شكر الله ولقد قرأت فيه الكلام على بيوت النحل وأن تسديسها وتنظيم بيوتها مختار لمناسبة ذلك التسديس لجسم النحل اذ الاشكال المربعة والمثلثة ونحوها تترك فيها زوايا ضائعة وكذا المسبعة والمثمنة تخللها أمكنه وفرج بين تلك البيوت كالدوائر لقربها منها فاما المسدسات فأجلها أحكاماً وأبدعها إتقاناً وأنسبها للنحل وأجمعها للعسل ولقد كنا درسناه تلك السنة على استاذنا بهذه الطريقة وكان رحمه الله يعرف الفرنساوية فلما رجعنا الى المدرسة قلت له يظهر لي انك أخذت هذه من اللغة الفرنساوية فقال نعم قلت له ولعلهم نقلوها من كتب العرب وحكيت له بعض ما اتفق لي فقال لعله يكون ذلك فوقر في نفسي من ذلك كله اننا مخطئون في الجهل بهذه العلوم وان ديننا يأمرنا بها

أشد من الأمر بالصلاة والعبادات الظاهرة وطالما ذكر الغزالي فى الاحياء النحل والعنكبوت ويذكر من هندسة الثاني واتقانه لخيوطه وأحكامه لنسجه ما شاقني للوقوف على الهندسة حتى أعرف تلك الصنعة الدقيقة ولقد سمى كتابه أحياء علوم الدين وجعل العلوم كلها علوم الدين الاسلامي وسمى ما شغف به علماء الاسلام فى جميع العصور بالقشور فكان ذلك يبعثني على الطاب دواماً . وكيف تقنعني فلسفة اليونان التي ترجع الى الأمور العامة أو أقنع بما يلقيه الدين وأكون مقلداً له في أن العالم منظم ونفس الدين والواجدان يطالباني بالتحقق من نفسي وطالما بحثت عن شكل للعنكبوت غير مشوش يظهر لي فيه جلياً حسن نسجه وان فيه نسباً هندسية فلم تكد نفسي تقنع بما ترى حتى كدت أيأس الى أن اتفق ذات يوم وأنا في رياضة ان شابا معه كتاب باللغة الانكليزية مرسوم في أوله صورة نسج العنكبوت يسمى القراءة المكوكية وكنت اذ ذاك أعرف صروفاً من اللغة وبعض كلمات فاخذت الكتاب وتأملت الشكل وقلت للفتى

ترجم فترجم فانبهرت من القول وعجبت من الشرقي وجهله والغربي وعلمه وقلت أرني بقية الأبواب في الكتاب فاسمعني جملا منها حتى عرفت مقصود الكتاب فزاد استغرابي وقلت من يسمع عني من يفقه مني نهج الانجليز في تعاليمهم على نهج كتابنا الكريم ونهجنا نهج أجهل الأمم في تعاليمنا . هذا القرآن يأمرنا بالنظر في الأشياء جميعها وهذا الغزالي انذر وحذر ونظر وقال معني دين الاسلام أرقى مما عليه الناس . وها أنا أبحث عن شكل من الاشكال التى يعملها الحيوان فلم أعثر عليه الا فى كتاب انكليزي . فاخذت أدرس تلك اللغة لاستطلع آراء القوم وعلومهم وأقارنها بما عندنا واتفق ذات يوم أني أحادث أحد المدرسين الانكليز ومعه كتاب من كتب الدراسة وأنا لم أزل في تهجئة الحروف والنطق بالكلمات فرأيت شكلا في الكتاب ذا خطوط سود وبيض مقوسة ومستقيمة فقلت ما هذه فقال طرق الشهب والنيازك أثناء تساقطها من السماء فقلت أكل تعليمكم للناس على هذا النمط فقال نعم ان الطفل يأخذه أبواه للحقول

والرياض ويريانه الأشكال والأزهار والألوان ويفهمانه مقصودها فقلت ان هذه تعاليمنا باعتبار ديننا فرأيت الرجل ظهرت عليه هيئة الانكار وكان يعرف بعض العربية فقلت له لاتعجبت وان شئت فاسمع هذه الآية ومتى لم تفهم شيئاً فاستفهم ثم قرأت له (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور) ثم قلت ان الله يقول فى كتابنا ان من يعرف هذه الغرائب ويتأمل الثمرات والالوان والجبال واختلاف أشكال خطوطها ويعرف غرائب النبات والحيوان والانسان فهو العالم الذى يخشى الله وهم هم الخواص ومن عداهم فعامة جهلاء وذلك لايكون الا بقراءة هذه العلوم فقال لي لماذا لم تسيروا على هذا النهج فقلت دولة شيخة لدنيا بقايا العلوم لضعف الامة وانحطاطها وهاهى الآن أخذت ترجع شابة فقال اذن نحن المسلمون لا أنتم وكان الرجل يصدق ماأقول لثقته بى فى المحاورات التى دارت بيننا

ولقد عرفني أدور مع الحق كيفما دار فلما سمعت منه ذلك لزمت الصمت وبهت وزادت حيرتى وأخذت أنشر المقالات وأصنف الكتب وهذا دأبي وديدني . ثم ان ذلك الانجليزي عرض على ذات يوم حديثاً في ورقة وهو (علو الهمة من الايمان) وسألني ايضاح معناه وتفسير مغزاه فقلت فسره أنت فقال ان علو الهمة من الدين الاسلامي فقلت هذا تفسير أكثر أهل العلم عندنا فقال وهل عندكم غيره فقلت نعم ان الايمان هو التصديق ومعرفة الشئ بالتحقق مع الاطمئنان فى المعرفة فمن عرف التجارة مثلا واطمأن لها وصدق بثمراتها شاقته ومتى شاقته علت همته فيها وهكذا الحياكة والفلاحة والسياسة والدين فمن وقف على حقيقة شئ من ذلك علت همته فيه حتى يجد ثمرته فالمعرفة أولا والعمل ثانياً فقال هذا معنى عجيب ومن أين أخذت هذه المعاني فقلت من كتب الاوائل فى شباب الدولة العباسية اذ كانت دولتنا شابة كدولتكم وعلمنا فتي كعلمكم فقال وهل في البلد الآن من يعرف فقلت نعم ولكنهم قليل فقال عجباً كأن نبيكم لما رأى العرب على القطرة

يرعون الغنم أخذ يلوي عنان رغبتهم الى العقول والتفكر ثم أشار الى رأسه وقال فهو يقول لهم رؤوسكم رؤسكم عقولكم عقولكم ثم اعملوا فأمرهم بالتعقل ثم العمل فايقظهم بذلك اه

﴿ الجوهرة العاشرة ۰ النظر في كتب علماء الانجليز ﴾

رأيت النظر فى علوم القوم وآرائهم وكتبهم صار واجبا على حتى يتسنى لى ان أدرس آراء الشرقيين والغربيين وانظر هذا الدين وانى ليجدر بى أن أقص عليك نبأ بسيطها اتفق لى أيام مجاورتى بالجامع الازهر الشريف ذلك انى كنت اذا قفلت الى الريف أشغل أيامي بالنظر فى العالم فكان هو درسى وشغلي كما قدمت واذكر انى وقفت ذات يوم مساء على الجسر ذى القضبان المعدة لمرور الوابور فقلت أنا أقرأ فى الازهر العلوم وابحث عن العالم وهذا الطريق والوابور وضعهما قوم من الاوروبا وبين فياليت شعرى مايقولون عن العالم وصانعه ولعل عندهم مالا نعرفه ولقد شغلتنى تلك الفكرة أمداً طويلا وهأنا الآن أقول قد عثرت على كتبهم وقرأت الكتب المتداولة بين التلاميذ فى الابتدائي والتجهيزي فرأيت ميل القوم الى

معرفه العالم سارياً الى هذه الكتب وهذا النسق هو المطلوب فى تعاليمنا الاسلامية على شريطة أن يتخلل تلك العلوم ذكر الله معها حتى يكون القاريء مستحضراً له فى فؤاده ۰ ولم تكن تلك الكتب غاية مطلبى ولما عثرت على مؤلفات العلامة جون لبك الانجليزي المسمى اللورد أفبري الفيت ضالتي المنشودة وبغيتي المقصوده وشمرت عن ساعد الجد لقراءة كتبه وقلما قرأت باباً من أبوابه أو كتاباً من كتبه الا وجدت عجباً عجيباً وأسلوباً غريباً فياليت شعرى كيف أجد قوماً فى العالم يميلون الى ما أميل اليه ويجدون فيما سعيت اليه وكيف بحثت في الحقول وفتشت فى الازهار ونظرت في الانهار ولم أترك شاردة ولا واردة الا اتبعتها ولا غريبة نادرة الا اقتفيتها ۰ ثم أجد ذلك مشروحا في كتب القوم وانى لأعجب إذ قرأت فى كتاب مسرات الحياة له في الفصل الاول يقول ان علماء الدين قلما وجهوا أنظارنا الى ما نراه بأعيننا ونسمعه بآذاننا كل يوم وما نمر عليه من الآيات ونحن عنه غافلون ۰ نعم يوقظوننا ويلفتون عقولنا ولكن لما نلابسه من المآ كل

والملابس والصحة وما أشبه ذلك مما تشاركنا فيه أخس الديدان وأتعس الحيوان وأدنى الحشرات . ولعمرك لم يشاءوا أن يحركوا من وجداننا ويوقظوا من غفلتنا وينبهوا من شعورنا الى ما حولنا من جمال وبهاء وحسن وكمال فى بدائع المخلوقات ومحاسن الموجودات في الحقول والحدائق والجنات فذلك الجلال والمجد لا ينال ادراكه الا الانسان خاصة وبه وحده يعرف حب الهه وعنايته ويعشقه قلبه ويميل اليه بعقله . يأمروننا بعبادته ولكن في حجر ضيقة ولم يشاءوا أن يرسلونا الى الحقول والمناظر الطبيعيه لننظر ذلك الصنع البهيج والعمل الجميل وقصروا هممنا على النظر في عيوب النفوس الخ اه ولما وقفت على هذا قلت ياليت شعرى من لي بأن يقف الكاتب على ما تضمنه القرآن الشريف ويتأمل قوله تعالى (أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون) وهذه الآية افظع ماانذر به البشر يوبخ الانسان على عدم النظر في بواطن علوم السموات والارض وهو المعبر

عنه بالملكوت وقوانين الاشياء التي ذرأها الله وأنذرهم بقصر الآجال وذهاب الأمم من الوجود فكأنه يقول من لم يقطن لهذه ساءت حياته فقصرت زماناً اذ لا قوام لها لذهاب العلوم فيهم الخراب واذا كانت المادة ولا علوم تفيد العقول عاشوا عيشة الجهلاء لا يفقهون للحياة معنى ولا للعقول ثمرة فحياتهم أقصر من يوم فيوم من عليم أفضل من آلاف السنين من الرجل البهيم والامم كالافراد في ذلك فان لم تعرف الامة علوم العمران وتنظر في الخليقة ساءت حالها وضل رجالها وقصرت آجالها وخمدت أنفاسها وساء مصيرها . ذلك مغزى الآية وتفسيرها ومقصودها ومرموزها فقال : أى قول أجمل من هذا وأبين وأحسن وأصدق فيؤمنون به ويصدقون بمضمونه ويقول الله في آية أخرى (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) ويقول (وفى الارض آيات للموقنين وفى أنفسكم أفلا تبصرون وفى السماء رزقكم وما توعدون) ويقول (وكم من آية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) الى غير ذلك من الآيات والحكم وأنا الآن أكتب هذا

وأعجب كل العجب من الشرق والغرب وكيف غفل أهل أوروبا عن الدين الذى يناسب مشارب عقولهم ويلائم أفكارهم ويوافق آراءهم . دين من قرأه لا يرى فيه الا العلوم والمعارف كما سأوضحه لك بأجلى بيان ان شاء الله تعالى فى هذا الكتاب وأذكر ماورد فيه من الحث على العلوم ومكارم الاخلاق وأن قصصه ومواعظه كلها ترجع الى ذينك الامرين وكذا عبادة الله من الزكاة والصيام والحج فانتظر البيان فى الكتاب . أنا أعجب كيف أغفله الشرق وكفره الغرب هذا . وقد كنت حين قراءة كتب العلامة جون لبك أؤلف فى كتاب نظام العالم والامم فنقلت منه ماسرنى ولخصت الكتاب في كتيب سميته الزهره ووضعت فيها جملا من كلامه وكلام الشيخ الغزالي وأهديتها له وأرسلت له خطاباً هذا نصه « تحية وسلاما من شرقي مشوق الى عالم عظيم غربي جمعتني وإياه روابط الحكمة والشوق الى الحقائق والبحث عما فى هذا العالم من الجمال والبهاء وانني وأنا أكتب هذا مشرف على مافى خزانة الخيال من جمال غابر ومستقبل جميل زاهر فأما الاول فهى تلك

الحكمة الزاهرة العربية والكتب الفلسفية ككتب ابن رشد والغزالي وابن سينا والفارابى وما لخصته من آرائهم ومزجته بما عن لنا من علوم الغربيين الاوروبيين وأما الثانى فاطلاعي على بعض كتبكم ككتاب جمال الطبيعه ومسرات الحياة ولقد عجبت من تطابق الشرقي والغربى وزاد تعجبي اذ رأيت شوقكم وفرحكم بما جبلت نفسى عليه في حداثة سني من التأمل فى العالم وجماله وحب البحث عن العلماء السابقين واللاحقين حتى أني ما درست ذلك القليل من اللغة الانجليزية إلا حباً فى مطالعة كتابكم . ومن العجيب انى أرانى مشوقاً اليكم وأرى عقلاء بلادى مشوقين لما أكتب وهذه قد أحدثت عندي أمل أن أكون وسطاً متناسباً بين الطرفين فأصل ما بين علماء المشرق والمغرب وأطلع كل فريق على ما لدى الآخر . وأرجو أن أقف حياتى على ذلك حتى يتسنى للشرقي أن يعرف الغربى وللغربى أن يعرف الشرقي وانى الآن أجد نفسى أشرفت على عالم الجمال واستولت فى مقعد الجلال ورأيتها تطالبني ان أبث لاخواني الشرقيين ما أحبه

وأميل اليه ولقد كنت أرى كثيرا من النفوس في الاقطار الاسلامية تصبو الى ما أكتب فى ذلك ولما وقفت على قليل مما كتبتم أخذت الدواة والقرطاس ونقلت ملحا ولطائف من كتاب جمال الطبيعة وقارنتها بمقالات بعض العلماء فى الاسلام فى القرون الاولى وأتبعتها بايات من كتابنا المقدس وعجبت كيف كنت أجد هذا الوجدان فى نفسى ثم أقرأه في كتب العرب ثم فى القرآن ورأيت أن هذه هي مناهجكم بنصها وفصها وان أكثر بلادى غافلون عن ذلك فنشرت هذه الرسالة المهداة اليكم بينهم بعبارة يألفونها وهاهي مرسلة اليكم اعترافا بفضلكم وابتداء لصلة التعارف وهذه تجعل عندى أمل ان أستمد من أرائكم مابه أوفى هذه المباحث لارى أمتى وأبناء جنسى ما اندرس من علوم ابائهم وأقارنه بما جمل من آثاركم وأقبل التحية من المخلص . فأجابنى بما يعرب عن شكره وسروره وارتياحه وأهدانى كتابه جمال الطبيعة وأذن لي بترجمته وقد ترجمت أحسن مافي ذلك الكتاب بعد ذلك ووضعته فى الجزء الاول من كتاب نظام العالم والامم وقد طبع وانتشر ودارت

بيننا المكاتبات آنا فآنا وهاك بعض ما كتبناه في الزهرة

﴿ الجوهرة الحادية عشرة مقارنة بين علماء المشرق والمغرب ﴾

ومن العجيب أن يتحد على هذا المبدأ الشرقي والغربى فهل لك أن تعيرني التفاتة وتصغى الى ما انقله لك عن العالم الشرقي المتوفى في أوائل القرن السادس من الهجرة حجة الاسلام الغزالي وعن العالم الغربى السياسى الكبير جون لبك الذى يشاركنا فى الحياة ويتمتع معنا بضوء الشمس وهبوب النسيم وتأمل سيدى كيف اتفق الرجلان واصطحب العالمان واتحد الرأيان . أو ليس من العجب بل من أهنأ السعادة في الحياة أن يبحث كاتب هذه الرسالة عن الاتحاد بين الشرق والغربى فيعثر عليه وهانا املى عليك أولا كلام حجة الاسلام الغزالي ثم نطابقه بكلام العالم العصري . قال الغزالي رحمه الله في باب الحب (إن المدركات كلها التي هي شاهدة على الله انما يدركها الانسان في الصبا عند فقد العقل ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق الهم بشهواته وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها فسقط وقعها عن قلبه بطول

الأنس ولذلك اذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا
غريبا أو فعلا من أفعال الله خارقا للعادة عجيبا انطلق لسانه
بالمعرفة طبعا واعضاؤه فقال (سبحان الله) وهو يرى طول النهار
نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة
لا يحس بشهادتها لطول الأنس بها ولو فرض انه بلغ عاقلا
ثم انقشعت غشاوة عينه فامتد بصره الى السما والأرض
والاشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة
لخيف على عقله ان ينبهر لعظم تعجبه من مشاهدة هذه
العجائب لخالقها . فهذا وامثاله من الاسباب مع الإنهماك
فى الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة
بأنوار المعرفة والسباحة فى بحارها الواسعة . فالناس فى طلبهم
معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا
الحمار وهو يطلب حماره والجليات اذا صارت مطلوبة صارت
ممتاصة . فهذا سر هذا الأمر فليتحقق ولذا قيل

لقد ظهرت فلا تخفى على أحد
الا على أكمه لا يعرف القمرا

لكن بطنت بما أظهرت محتجباً
فكيف يعرف من بالعرف قد سترا

وقال العلامة جون لبك .. ما أسعد الناظر فى جمال الخليقة
إذ تتزين له العوالم وتسفر عن أبهى جمالها وزينتها . وما فصول
السنة الا احباؤه القدماء وأصدقاؤه الندماء يجددون له اللذات
ويعيدون له السعادات واذا مشى منفرداً تجلى له من الطبيعة
ماتقر به عينه ويشعر منه باللذة والسعادة فتطل له الازهار من
سياجها أو تخرج باسمة من أرضها وتغني له الطيور على اشجارها
محاطة بأوراقها الناضرات وأزهارها الباسمات فاذا انقضت
تلك السنون أعقبها الذكرى السارة وخلدت فى صحائف مخيلته
وذاكرته ما يرتاح له ضميره فهو إذن ما بين حاضر جميل وغابر
لذيذ : الناس فى هذه الدنيا فى غمرة ساهون منغمسون فى تيارها
تحت رحمة أمواجها فلا مناص لهم منها ولا قوة لهم على دفع
حوادثها الا فى أويقات قليلة . أقول فكأنه اقتبس من مشكاة
قوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله
ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون) ثم قال وليس

حب الطبيعة مايبتاده كثير ممن لا يعلمون فيجمعون ماجمل من الازهار وينثرونه على الارض ولعمرى كيف يهان هـذا الجمال الباسم والحسن الباهر. أهذا حب الطبيعة وجمالها. ساء مايحكمون. اضاعة الجمال واهانته أشنع اضاعة وانحسها . لو تصورنا أن هذه الدنيا طالت ايامها وقلت حوادث الشروق والغروب فلم يكد يسـمع الرجال بالصباح والمساء الامرة واحـدة لاشتاق الى ذلك أشـد الاشتياق وفرح بما يبـدو له من ذهب أصفر فاقع . جمال الشمس في شروقها وغروبها سعادة فى نفسه يترقرق حسنه على بساط البسيطة فى الصباح والمساء . لكننا لا نعير جمال الطبيعة التفاتا لأنها حاضرة لدينا مشاهدة أمامنا صباحا ومساء فهانت على النفس بتكرار المشاهدة قال سبكير عن ارسطاطا ليس اذا تصورنا قوما عاشوا تحت طباق الثرى فى منازل جميلة مزدانة بالتماثيل والصور قد أوتيت من كل شئ حتى يحسبهم كل من أطلع عليهم أنهم أسعد الناس حظاً فى الحياة وأرقاهم منزلة فاذا فرض ان الارض انشقت فخرجوا من تحتها ونظروا هذا العالم فلا

جرم أنهم ينسون نعيم بيوتهم الارضية ويهجرونها ويخرجون سراعا . فياليت شعرى كيف يكون سرورهم وفرحهـم وتأملهم اذا نظروا هذه الارض وجمالها والبحار واتساعها والانهـار وجريانها والرياح وهبوب عواصفها والسحاب الملقحات والشمس ونورها واشراقها وجمالها وعظمة الخالق فى إبداعها وتأملوا القمر وهو يبدو دقيقاً ثم يدق كما قيل

المرء مثل هلال حين تبصره   يبدو دقيقاً ضئيلا ثم يتسق
يزداد حتى إذا ما تم أعقبه   كر الجديدين نقصا ثم ينمحق

ثم تأملوا النجوم وهى تتلألأ فى السماء مشرقة بهجة وعرفوا حسابها ونظامها فى شروقها وغروبها فاذا تأملوا ذلك كله ولا حظوه فلا جرم يستنتجون منه أن لهذه الكائنات صانعا مدبرا قادراً مهيمنا عليها وان هذه العوالم مصنوعات له . اهـ أقول أليس هـذا قبسة من مشكاة قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتاً كذلك

تخرجون والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الي ربنا لمنقلبون) • وقوله عز وجل (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فانى يؤفكون) أى الى أى مكان يصرفون إذ لا محيص لهم عما أجمع عليه خواص نوع البشر وقوله تعالى (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفي آلله خير أما يشركون أمن خلق السموات والارض وأنزل لكم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون امن جعل الارض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزاً أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) ثم بعد أن ذكر هذه العجائب التى شغف بها الغربيون أفاد ان الامم المتدينة المسيطرة على العالم هى التى عرفت هذه العلوم وأن أى امة خلت منها فانها تقع تحت سيطرة غيرها لا محالة فاشار لهذا كله بقوله تعالى عقبها (امن يجيب المضطر إذا دعاه

ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الارض أءله مع الله قليلا ما تذكرون فانظر كيف ذكر خلافة الارض بعد ذكر هذه العجائب الجميلة • واقد ذكرت لك ايها الاخ مقارنة بين علمائنا السابقين وعلمائهم العصريين وآيات من القرآن فانظر كيف دلت علي حكمة بالغة وعظة تامة وتأمل الآن فى آباء الأروبيين وما كانوا يدرسونه ايام شباب الدولة الاسلامية وكيف كانت تعاليمهم وخرافاتهم فاذا قارنت بين الآباء فارجع البصر وقارن بين الابناء لتقف علي مراكز الاولين والآخرين • ثم قال بعد كلام طويل ما نصه فهل لك ياسيدى بعد ذلك ان تقرأ الايات القرآنية • وتخيل الامة العربية اذ ذاك وهي تترنم بقوله تعالى (خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون

وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين هو
الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه
تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب
ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر
لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره
ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وما ذرأ لكم فى الارض
مختلفا ألوانه ان في ذلك لآية لقوم يذكرون . وهو الذي
سخر البحر لتأكلوا منه لحما طرياً وتستخرجوا منه حلية
تلبسونها وتري الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم
تشكرون . والقى فى الارض رواسى ان تميد بكم وأنهاراً وسبلا
لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق
كمن لا يخلق أفلا تذكرون . وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها
ان الله لغفور رحيم) فهذه وأمثالها معارف عند عامة العرب
الاسلاميين فأدناهم من يقرأ هذه الايات ويعلم أن الله عزوجل
أظهر قدرته وامتن على عباده بخلق السموات والارض لانها
أعظم مشاهد للانسان ولما كان الانسان أعظم نتيجة لهما

أردفها بذكره وفى عجائب خلقه أبهر دليل حيث خلقه من
نطفة قذرة ثم صار أكثر شيئ جدلا مع ان الأليق به أن
ينظر الى مبدئه ويتفكر فى ملكوت السموات والارض ثم
عدد عليه صنوفاً من نعمه وضروباً من آلائه فذكر ما ينتفع
به من الحيوان والنبات والماء النازل من السماء النافع لهما
وذكر كثيراً من أنواع القسمين مما ينتفعون به وعجائب
السموات ومنافع الكواكب والليل والنهار لتوقف هذه
الأنواع عليها وذكر الجبال ومنافعها وما يهتدى به من
علامات الطرق وبعبارة أوضح أقول أن الله ذكر فى هذه
الآية نعمه على عباده بخلق الحيوانات وان منها المآكل
والملابس فاتخذوا منها ملابس الشتاء وملابس الصيف وتخذ
منه الاعراب خيامهم ثم منها ما يحملنا وأمتعتنا الى الامكنة
البعيدة ومع هذا كله فهي زينة يتجمل بها فيتسم أربابها
بالابهة والجاه لما يرى عندهم من آثار نعم الله عز وجل وكم له
من مخلوق في الأرض وفى السماء لا نعلمه فعلومنا قاصرة
على ما ننتفع به فلو بحثنا عما لا نعرف لكان ذلك ظلما وجوراً

وعبثاً كمسألة الروح وحقائق الكواكب وغيرها ثم ذكر أنه أنزل الماء من السماء فهو لشرابنا وطهورنا وسقينا زرعنا وأنعامنا وأن ينبت به الزرع وهو الحب الذي نقتات به كالحنطة والشعير وما أشبههما وقدمه فى الذكر لأن به قوام أبداننا وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الأدم والدهن والبركة وثلث بذكر النخيل لأن ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بذكر الأعناب لأنها شبه النخلة فى المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر بقية الثمار اجمالا ولما كانت الاجرام العلوية لا بد منها لنمو هذه المخلوقات ولنهتدي بضوئها أعقب ما ذكر بذكر تسخير الليل والشمس والقمر والنجوم فلعمر الحق ان من لم تدهشه هذه العجائب فيوقن برب البريات لابعد عن العقل والفهم بعد مابين المشرقين . فان فى بعض هذه فضلا عن جميعها دلالات واضحات على كمال بارئها وجمال مبدعها الحكيم وقدرته . وانظر رعاك الله الى ألوان الزرع كيف اختلفت مع اتحاد الاضواء السماوية والماء والعناصر والهواء والارض وما أغفلنا عما بين أيدينا فكيف جعل هذا أحمر

قانياً وهذا أصفر فاقعاً وهذا أزرق زاهراً وهذا أخضر ناضراً وهذا أبيض ناصعاً وهذا اسود قاتما وكل منها يتلون ألواناً شتى وأشكالا متخالفة فسبحانه وتعالى ثم هذه البحار من أدل الدلائل وأعجب العجائب فقد جعل جل جلاله فى الماء جزءاً عظيما من الملح لولاه لأنتن بطول المكث ففسد الهواء ولا نطيل بشرح ما احتوته هذه الا يات من العجائب الخلقية والحكم الغريبة وانما شرحها وماماثلها من آيات تبلغ نحو سدس القرآن جميع العلوم التي يفنى الزمان وهي تتجدد وتزداد وضوحا مصداقا لقوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) وقوله (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) هل لك أن تنظر فى هذه الايات كيف ابتدأ فيها بالكلام على السموات ثم خلق الانسان فالحيوان فالنبات وأخذ يشرح العوالم كلها واحداً واحداً وانتهى بنتيجة استخلصها منها وهي ان لها صانعاً ثم انظر حكاية الالهة المتشاكسين وكيف احتال بعضهم ان قتل إله الرحمة فانتزعت من بينهم (١) فانظر يارعاك الله كيف

(١) أنظر الزهره

خلف من بعدهم خلف قبضوا على زمام الامم بالعلم ودرس الفنون • التي يشير لها القرآن ويتفكرون ويعقلون وينظرون أما نحن فما بقي لدينا منها الاحثالات فكأننا ورثنا آباءهمْ وورثوا آباءنا فقلدنا قدماءهم وقلدوا قدماءنا ولم يبق لنا سوى الدعوى العمياء والتبجح بقولنا أتبعنا القرآن

﴿ الجوهرة الثانية عشرة • القرآن والمسلمون ومتأخروا الافرنج ﴾

ثم تعجب يا أخي من هؤلاء الأقوام في ديارهم فانك تراهم يعظمون الحكيم سنبيكا الروماني حتى أنهم ليضعون حكمه في أوائل كتبهم ويقدسونها ويقتدون بأقواله ويعولون على آرائه ثم ترى آيات القرآن بين ظهرانينا أبدع وأكمل من حكمه وأبهى وأبين وآنق في النفوس وأروح للعقول ولاذكر لك طرفاً من كلامه ثم اتبعه ببعض آيات من القرآن ثم أكل الامر لك في حال قوم أضاعوا أجمل نفيس لديهم وآخرين خاضوا البحار وقطعوا الفيافي والقفار وركبوا المهاري واجتابوا الصحاري وأخذوا يستمدون من آيات البشر • قال سنبيكا اذا

وهبك إنسان ضيعة واسعة ذات أشجار وبساتين وحقول وأنعام أفلا تعد ذلك منة جزيلة ومن ذا ينكر أن الارض وسعتها وجبالها وأنهارها أعظم عطية وأجمل هبة من مدبر الكائنات • ولو ان رجلا حباك دراهم ودنانير فلا جرم تعدها هبة ومنة عظيمة • أو ليس الذي دفن المعادن تحت اطباق الصخور وكوّن في ظلمات الارض الذهب والفضة وغيرهما من المعادن أكبر اعطاء وأجمل هبة • ولو أن رجلا بنى لك منزلا من المرمر الجميل وزين سقفه بالالوان البديعة البهجة وزخرفه بالذهب والالماس وأسداكه أفلا تعدها لديك تحفة جميلة • أليس الله بنى لك قصراً مشيداً متين البناء ثابت الدعائم قوي الاركان آمناً من البوار بالنار والخراب بالامطار • سقفه مزين بأجمل الالوان وأبهاها • مرصع بالدراري اللامعة • والاقمار الساطعة • والشموس المشرقة • فأضاء بالليل والنهار وازدان بالانوار • فيه ما يحتاجه الانسان والحيوان • منه يخرج الهواء لانفاس نرددها والضياء لاعمال نزاولها ونهتدي سواء السبيل • ويتولد الدم الذي عليه مدار حياتنا والغذاء

المقيم لاجسادنا . الله عز وجل بث في الارض من كل دابة وفرقها فى أنحائها وأنبت فيها من كل زوج بهيج من أنواع النبات متاعالنا ولانعامنا . سخر لرياح تجري متصرفة بأمره مختلفات في الصيف والشتاء . الله عز وجل كرم بني آدم وألهمهم الصنائع والعلوم . وركب فيهم النغمات وجبلهم على الاصوات المختلفات ليشتقوا منها نغمات الموسيقى ويزنوا الالحان . وهل نحن غرسنا في نفوسنا أصول العلوم والصنائع أم الله هو الذى ركب فينا تلك القوى الشريفة والملكات الفاضلة . الله سيدنا أخرج من ظلمات الطين نور العقل وأبرز هذه الصنائع والعلوم وجمال الموسيقى من ماء مهين . اشتق من سلالة من طين (يخرج الحي من الميت) اه ماقاله الحكيم سنبيكا . وقال آخر من فحول كتابهم أكثر الناس في هذه الدنيا لهم عيون ولكن لا يبصرون بها وآذان ولكن لا يسمعون بها وأعظم منة من الله أن يفاض على المرء منحة الفهم والاعتبار وأن يعبر عما شاهده بعبارات تعقل عنه اه أليس صدر هذا القول قبسة من قوله تعالى (ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن

والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وعجزه قبسة من قوله تعالى (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) ولو علمت مقدار اعظامهم واجلالهم لمقام هؤلاء الحكماء لعجبت من أمة الاسلام كيف غفلت عما أبدع فى القرآن من نفائس الدرر وبدائع الحكم فى نفس هذه المناهج التي ينتهجها أكابر كتابهم . واذا كان علماء واكابر أوروبا وقادتهم يعظمون هؤلاء الكتاب فكيف بهم اذا تلوا من هذا المنهج قوله تعالى (ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجري فى البحر بما ينفع الناس (وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) أو ماهو أخصر منه لمن كان أذكي فقال فى موضع آخر (الله الذى خلق السموات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري فى البحر بأمره

وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ماسألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار) أو بما هو أوجز للخاصة فقال (هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شئ عليم) وخاطب ذوى الالباب بما هو أوجز فجمعه في خمس كلمات فقال (بديع السموات والارض) ثم فى كلمة وهي اسمه (البديع) وهكذا مما فاض به القران وهجره المسلمون لماظن أهل العلم أن الفقه وحده كاف في السعادة والحياة والدين حتي قام الافرنج فسبقونا شوطاً بعيداً فى الماديات والادبيات على نحو ماذكرنا في تلك الآيات. أولسنا نحو أولى بماحث عليه القرآن ان ندرسه ونسارع فيه ولذلك وضعت كتاب نظام العالم والامم اهـ

﴿ الجوهرة الثالثة عشرة ﴾

(نتيجة المباحث السابقة)

كانت نتيجة مباحثى السابقة وما رأيته في الكتب الحديثة والعلوم المصنفة أن العالم منظم ورسخ ذلك عندي كما أنبأ

الكتاب المقدس وهو القرآن وقررته المباحث اليونانية المنقولة عنهم بمؤلفات ابن سينا والفرابي وكتاب اخوان الصفاء وابن رشد والغزالي وكنت مقتنعاً بأن العالم النباتى والحيواني لهما قوي من الغاذية والنامية والمولدة والمصورة وهذا وان القوة النامية تنمي الجسم بانتظام واشكال متسقة وهذا كما أسلفت انما كان اجمالا وقولا غامضاً حتي اتضح فى أقوال علماء العصر الحاضر وتحليلهم وردهم النبات والحيوان الى عناصر مركبة بذرات معلومة متلائمة الوضع ووضعوا لها الجداول والحساب ورقموا لها الارقام من مائة كما أوضحناه فى كتبنا لاسيما الزهرة ونظام العالم وقلنا هناك أن الذرة والقمح والقطن موادها واحدة كالبوتاسا والصودا وكان هذا قطناً وهذا قمحاً لاختلاف المقادير للمواد فظهر هناك بأجلى بيان قوله تعالى (وكل شئ عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال) عجباً كيف وصلت الى هذه الحقيقة التى كنت يائساً منها أشد اليأس وكنت أظن أن بيني وبينها بعد ما بين المشرقين وهكذا معادلات الكيميا كتحليل الماء الى عنصريه الأكسوجين والادروجين وظهور قوله

تعالى (وكل شيء عنده بمقدار) وقوله (والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكري لكل عبد منيب) وقوله (وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشى الليل النهار ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الارض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان فى ذلك لايات لقوم يعقلون) فهذه العلوم المشاهدة الان هى عين ما يطلبه هذا الكتاب. أنا أكتب هذ وأنا أعجب من كتاب بين ظهرانى هذه الامة ويطلب ماعرفه الغربيون وكأنى فى وسط غريب فمن لى بأن يقف علماء الملل على ماأقول ومن لي بأن يصل كتابى الى علماء اليابان ومن نحا نحوهم ممن يطلبون دينا حقاً. ليس المقام مقام شرح العلوم وبيان القضايا اذ كتابنا هذا انما وضعناه لعلماء درسوا تلك العلوم فالاشارة لهذه القضايا تكفيهم والشرح والتطويل عليهم أما الشروح فقد استوفيناها فى تصانيف مختلفة

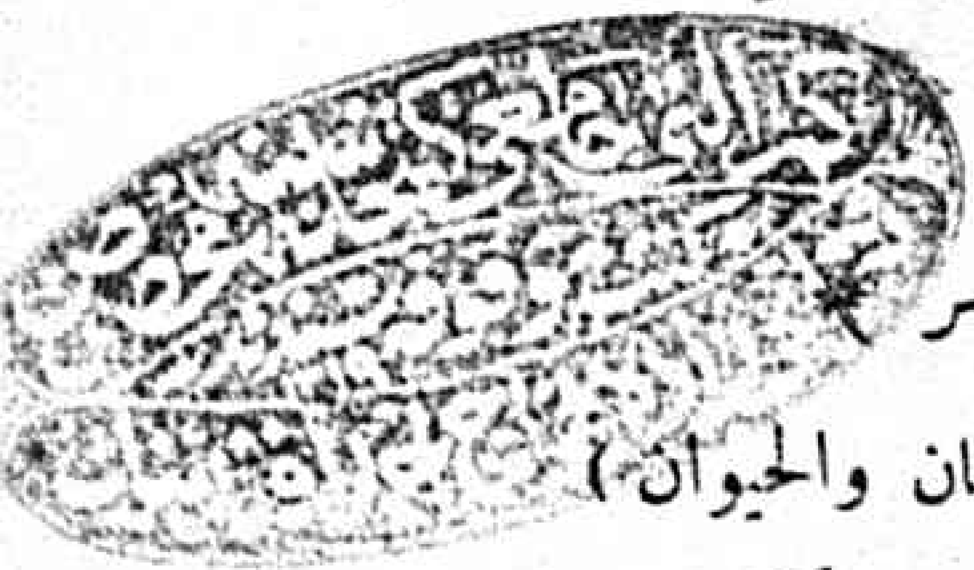
﴿ الجوهرة الرابعة عشرة ﴾

(تربية الوجدان في الاسلام)

لقد ترك الشرقيون الطريقة التي أشار اليها القرآن الشريف واتبعها الافرنج كما درسته في كتب الغربيين وكلاهما ناقص أبتر والطريقة المثلي أن يؤخذ النشء بدرس الأشياء فى صغرهم على شريطة أن يذكروا ربهم عند درسها وفهمها ليكون ذلك داعياً لتربية حبه في القلوب وخشيته في النفوس فلا تمر قاعدة أو عجيبة أو قانون طبيعي أو نظرية فلكية الا ويقرن بجلالة من سنها ويذكر من رسمها فيشب الفتى دارساً للعلوم محباً لمبدع الكائنات كما طلب نبينا صلى الله عليه وسلم فقال كل شيء لا يبدأ فيه ببسم الله فهو ابتر أو أجزم أو أقطع ولا معنى لذلك الا تذكر ان هذا المخلوق الذى أزاوله أو آكله أو أدرسه أو أفكر فيه إنما هو أثر من آثار جلاله مذكر لنعمائه ولذلك ترى كل سورة فى القرآن الشريف بدئت ببسم الله الرحمن الرحيم تدريباً على ذلك وتعليما وتنويهاً بانتهاج هذه الخطة ولذلك كان عليه الصلاة والسلام يقول

« اذكروا الله عند كل حجر وشجر » ومعناه ملاحظة مبدع الشجر والحجر عند رؤيته أو درسه ونذكر أنه خلقه وعلى هذا تنمو فى المرء قوة الدين والوجدان وحب صانع العالم فيهابه ويعمل له ويراعي عباده وهذا بعينه هو ما قرره العلامة سبنسر الانجليزى إذا بان أن التعليم لا يجدى بمجرد البرهان بل بتربية الوجدان بالمحادثة والتذكير وترى هذه طريقة القرآن والاسلام لا المسلمين اذ يذكر محاسن العالم وجماله ويذكر بالشمس وغروبها وشروقها والكواكب وغرائبها الى غير ذلك . أما تعليم الشرقيين المسلمين فانما يأخذون الناشئة بالكلام العرضي والتطوح بهم فيما يرجع الى القضايا التى تحوم حول فلسفة اليونان رداً على قوم واراهم التراب وانقرضوا فى الغابرين وذهبوا مع أمس الدابر وتراهم يناقشونهم فى قبورهم وينازعونهم فى برازخهم ويذرون ماخلق لهم ربهم مما أبدع وأحكم ولم يعلموا ان علماء الغرب برعوا حتى قاربوا دينهم القويم وصراطهم المستقيم فأحاط بنا الفقر والصغار والذل والشنار واحتلتنا الأعداء وأحاطوا بنا من كل جانب

أما الغربيون فقد ورثوا الأرض بما أوتوا من العلم الناقص ولكن مدنيتهم ذاهبة الى الزوال بما عصوا ربهم ولم يبنوا العلم على أساس متين أما وربك لو أنهم اعتقدوا ان هذه العلوم عبادات وانها كالصلوات والقربات وانها نفسها الدين حقيقة كما سأذكر لك بمئات من الادلة كانت مدنيتهم أثبت المدنيات فكانت المعاصي تزول والشرور تقل وخوف الله يلازم النفوس ملازمة الخيال للذهن والتصور للعقل (انما يخشى الله من عباده العلماء)



﴿ الجوهرة الخامسة عشر ﴾

(الأحزاب في أوروبا ومسألة الانسان والحيوان)

أذكر انى مرة بدت لي سانحة من الفكر في ترتيب الحيوانات وصفاتها وغرائزها فرجعت الى مادرسته في المنطق والحكمة وما سطره اليونان ونقله علماء العرب من أنها أنواع لكل نوع تعريف خاص فيقولون الانسان حيوان ناطق والفرس حيوان صاهل والكلب حيوان نابح وهكذا ورأيت نفسي تطالبني بأجلى من هذا وكان ذلك والليل قد أرخى سدوله

وكنت فارغاً من الشغل أيام البطالة وأنا تلميذ بدار العلوم وقد شاهدت ثعلباً يجري بالحقول خارج قريتنا فأخذت أجيل الفكر في ذلك وقلت ان لها غرائز وصفات وأحوالا هذا ماكر وهذا بليد وهذا جبان وهذا جميل وهذا جبار جرئ وكل منها أعطى من القوة والجسم والاعضاء ما يناسب استعداده كما أوضحناه فى غير هذا المقام بأجلى بيان ويفقهه من زاول العلم . ليس المقام مقام بيان بل انما نكتبه لعلماء الامم الدارسين وان لها عقولا ومدارك وغرائز كل بمقدار ما يحتاجه والإنسان منها أعطى عقلا وأعضاء تناسب حاجاته وما يلزم له فى الحياة ثم قلت كيف يحاسب الانسان وهى لا تحاسب أم كيف يعذب وهي لا تعذب وهذا السؤال أبنته فى كتاب ميزان الجواهر وأجبت عنه هناك بما يطول شرحه هنا ولا يهم ذكره ثم اطلعت على أحوال الاوربيين كبعض النهليست والفوضويين الذين انتشروا فى انحائها لاسيما الروسيا وهم هم الذين ماجت بهم فرنسا والمانيا وانكلترا ولهم البطش والقوة فوجدت ان هذه الشبهة هي العامل الاول في مناوأتهم

حكوماتهم وتفانيهم فى دعوتهم وتماديهم في قتل الملوك والأمراء والعظماء وهم فرق وأصناف متشاكون . قهروا الامم وأبادوا الاغنياء قالوا ما أرباب الديانات الا مسيطرون بلا حجة ولا برهان ولا هدى ولا سلطان يقولون العذاب العذاب الحساب الحساب هذه الحيوانات أمم أمثالنا لها نظامات وقوانين وسياسات كما تري فى حكومات النمل والنحل ونسج العنكبوت وحيل الطيور والجوارح وبنائها والاسود والنمور وما شاكل ذلك ومانحن الا أمة منها فكيف نحشر وهم لا يحشرون أم كيف نعذب وهم لا يعذبون هذه شبههم وهذه نحلهم وهذه آراؤهم ويستترون بقولهم أمام العالم . الانسانية . المساواة . والحقوق . الناس اخوان ولا معنى لهذا عندهم ألا عدم الثقة بالاديان يريدون أن تمحى ويمحى ذلك التمييز بين الافراد لما شاهدوه أن دينا نشأوا فيه عودهم على مثل ذلك التميز والظلم . وقداطلعت على كتاب الاسفار للشيرازي فذكر الحيوان والانسان وأبان أن كل ذى روح من حيوان وانسان بل وكل ماله نفس نباتيه بل كل

ماله صورة معدنيـة ستحشر ولا معني لذلك الابقاء أرواح
ذوات الأرواح لتحشر فى عالم يناسبها وصور ذوات الصور
وكأن هـذا العالم المشاهد يذهب شخصه ويبقى رسـمه كل
بحسبه فالحيوان والانسان بروحه فالراقى برقيه والاخس
بخسته والشرير بشره والبعوض بغطرسته والاسـد بجراءته
تبقى غرائزها وآراؤها وصفاتـها فى أرواحها كما تبقى أرواح
الانسان منعمة أو معذبة بصفاتها التى كمنت فيها. هذا ما أبانه
الشيرازى فى الاسفار مصداقا لقوله تعالى (وما من دابة في
الارض ولا طائر يطير بجناحيـه الا أمم أمثالكم مافرطنا فى
الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون) من لى بأن يقف
أولئك الامم الفوضويون والفرق المتشاكسون على ما أجاب
به القرآن وماسطره الوحي قبل خلقهم بألف وثلثمائة سـنة
رداً على شبههم وإقناعهم ثم يقول لهم (مافرطنا فى الكتاب)
الذي كتبناه عندنا وهو اللوح المحفوظ الذي أودعنا فيه ما كان
وما يكون (من شئ) فلا نترك حيوانا لنقصه ولا انسانا
لفضله (ثم الى ربهم يحشرون)

﴿ الجوهرة السادسة عشرة ﴾

(فصل)

(ليس مذهب دارون جديداً)

لا عجب اذا تفكرت في سلسلة الحيوان أولا وا كتف بما
سمعت من التعاريف المنطقية ثم وجدت القوم في أوروبا بحثوا
فيها ودونوها وجعلوها سلسلة واحدة وكان ما كان بل العجب
كل العجب أن أقرأ هذا الموضوع بنفسه فى الكتب العربية
كابن خلدون وتهذيب الأخلاق لابن مكسويه والرازي
وغيرها من كتب مشاهير العلماء فقد رأيتهم جعلوا العالم دائرة
سموها دائرة الوجود فقالوا الله أبدع الملك فالمادة الاثرية.
فالجماد . فالمعدن . فالنبات . فالحيوان . فالانسان فالملك هكذا
الله

وقالوا إن الجماد أدنى مرتبة من المعدن والمعدن درجات بعضها فوق بعض أعلاها الذهب فالفضة وهكذا الى تمام المعادن السبعة ويلي الذهب أدنى النبات ويرتقي درجة فدرجة وأعلاه النخل لاستيفائه مكملات النبات العشرة المعلومة عندهم كالجمار والليف ولا بد بين كل نوعين من مخلوق يأخذ شبها منهما وبعد هذا الحيوان ويرتقي شيئاً فشيئاً حتى يصل الى الحيوان المفترس ثم ما يقبل التعليم عن الانسان كالكلب وآخره مرتبة القرد ويليه الانسان قالوا ضعف القرد عن ربط الحيوان بالانسان لمشاكلته في الصورة والتقليد فقط وكان الفيل رابطة في الذكاء والفرس في الادب والطاووس في الجمال الصورى والبلبل فى جمال الصوت ثم قالوا ان سكان أطراف المعمورة أقرب الي القرود كقوم من الزنوج ومن فى شمال روسيا ولا يزال الانسان يترقي كلما قرب من المناطق المعتدلة حتى يصل الى الجهات التى أنجبت الانبياء والحكماء والعلماء وهؤلاء أقرب الى الملك فلما وقفت على ما كتبوه وأوضحوه فى محله لم أجد فرقا بين هذا وبين ماذهب اليه دارون الا انهم نظموا

العالم قلادة منتظمة كأنها دائرة أولها آخرها وأرجعوها الي جمال الاحكام وحسن النظام وبهجة الاتقان وقد أشار الرازى الى خلاف حصل بين قدماء الحكماء . هل تولدت هذه الانواع بعضها عن بعض أم هي منفصلة . ولقد عجبت كيف سبق الافرنج بعلماء العرب فى اتصال هذه السلسلة ولما خاطبت بذلك أحد حكماء الانجليز تعجب جداً وقال ليس تحت الشمس من جديد وهذا مثل مشهور

﴿ الجوهرة السابعة عشرة ﴾

(فصل)

علم الله قبل ان تخلق أوروبا أنهم سيخوضون في شأن الخلائق واشتراك الحيوان والانسان في الصفات والعوائد والسياسات وكان أرباب الدين السابقون وحكماؤهم السالفون اذا سألهم السائلون عن الحيوان وحياته والانسان وحده قالوا لهم الفرق شاسع ولا مناسبة بين الطرفين فالاول كالمعدوم والثاني يقرب من الملائكة الكرام بل بعضهم شرفه بل فضلوه فعبدوه واتخذوهم آلهة كالفراعنة المصريين كما ذكر عن فرعون

(أليس لى ملك مصر وهـذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون) وقوله (ماعلمت لكم من إله غيرى) فبذلك الفرق الشاسع والبون البعيد بين الانسان والحيوان كان الجواب للامم السالفة . والفلاسـفة الغابرة حتى اذا قرب زمن رقى العلم والفلسفة وضع للعالم دين جديد حتى يرجعوا اليه اذا اكتشفوا نظام الحيوان وسياسـته وحيله وعلومه ومعارفه بالتفصـيل فاصبحوا يرون فيـه كل يوم آية وأصبحت تلك الاحزاب اذا رأت العجائب تحسـد الحيوان على هنائه وراحته وسعده فى الفلوات وعزه في الغابات فلا هو بالعبادات والتكاليف ملزم ولا عليه مسلط قاهر ولا تمييز بين طبقاته ثم حكم عليه أرباب الدين بالتلاشي مع أنه لافرق بيننا وبينها الا فى الكم فـلابد أن نتلاشى مثله وتكون تلك الكاليف والعبادات والاحكام مخترعة مفتراة ولما أسسوا هـذا الاساس بنوا عليه قصرين مشيدين أولها الأَحَجرَ على الشهوات ولا اثم في المحرمات ولا ذنب على أحد في عمـل ولا دين ولا يقين والثاني فك الاغـلال والحكومات والتميز بين النوع البشري اذ يدعى

بعضهم التأله والكبرياء والعظمة ويتيه ويتجبر بنسبته الى الإله وان البقية عامة جهلاء لايدخلون حماه الا باذن أولئك السدنة والتقرب الى تلك الكهنة . جاء القرآن فهـدم ذلك الاساس وقصريه والاصل وفرعيه أما الاصل الذى أفسده فانك تراه يذكر في الحيوان انه ذو نطق كالانسان فى مساق قصة سليمان (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ ان هذا لهو الفضل المبين وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون حتى اذا أتوا على وادى النمـل قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب اوزعني ان أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وان أعمل صالحاً ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وتفقـد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لأعذبنه عذابا شديداً أو لاذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين الخ) نبه بما ذكر على ان للحيوان منطقاً كمنطق الانسان يذكرنا ان

نهم به حتى نقف عليه وأعقبه بأنهم أعطوا كل شيء كأنه يشير الى أن الامم متى علمت علوم الحيوان ارتقت اذ هو المعلم الاول ثم ذكر حديث النملة والهدهد وانذار الاولى لاخواتها واحتراسها من سليمان وهذا ليس القصد منه حكاية بل مجرد التنبيه والايقاظ ويقظة الافكار الى العلوم من باب الكناية لم يقصد به الوقوف على الظواهر فحسب . وانظر كيف جعل الهدهد يعرف ما لم يعرفه سليمان وهو ماقاله الفوضويون والاشتراكيون والنهليست وكل من قرأ أو علم مذهب داروين اذ رأوا من أعاجيب تلك الحيوانات ماأدهشهم حتى أصغروا الصنائع للانسان فى جانب صنائعه ولقد قرأت في كتاب انكليزي ان النمل فى صنعها والعنكبوت فى نسجها لأجمل وأبهى من صنع الإنسان وترتيبه فلا نساج فى الدنيا ولا بناء يساوى العنكبوت في نسجه ولم نر عنكبوتاً غلطت يوماً فى نسجها وبنائها ولا نحلة ضلت طريقها فى غدوها ورواحها ولا أمالت حائطاً فى بنائها والانسان غالط ساه يدرس الهندسة ويزاول أعمالها فاذا بنى أو حفر تراه يخطئ أياما وأياما ويسهو

حينا وحينا فكان ماجاء في القرآن مناسباً من حيث فحواه لما أظهره الاكتشاف واياك ان يجمد طبعك على ظاهر القول فتعده حديثاً من الاحاديث بل هذه رموز أريد مغازيها لا ظواهرها . فظواهرها اقناع للجهلاء وبواطنها علوم الحكماء واحذر ان تكون فى منزلة بين المنزلتين فلا انت من العوام المقلدين ولا من الحكماء المحققين فان الذكاء المحدود هذا حده فيضيع صاحبه وتعلم ان البلادة خير من الذكاء المحدود هذا وفى القرآن آيات غيرما ذكر كقوله تعالى (فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال ياويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخي فأصبح من النادمين) فهذه الاخري اقعدت الانسان عن طغيانه وأرته مركزه وأنه أحق أن يتعلم من الحيوان الاعجم ولانطيل بمثل هذا ونقول ان الاصل الاول وهو أس الفوضويين والاشتراكين والنهليست قدانهارت دعائمه وخربناؤه وتهدمت أركانه فخر عليهم السقف من فوقهم وبان ان الانسان والحيوان في الدين الجديد بينهما نسبة ومجاورة فى الدنيا بماقدمناه

من الآيات وفى الآخرة بما ذكرناه من قوله تعالى (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شئ ثم الى ربهم يحشرون) فهل بعد هذا بيان وبهذه الادلة العقلية انهد شامخ واندك جبل وخر سقف عليهم من فوقهم فانهار عليهم • فلنبحث الآن عن أول الفرعين

﴿ الجوهرة الثامنة عشرة ﴾

أولهما انتهاك الحرمات وخرق سياج الادب بلا رادع يردعهم ولا زاجر يزجرهم مشابهة للحيوان ومطاوعة للشيطان وانه لاحشر لنا كما لاحشر لها وانا سنكون ترابا (ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) ونحن اذ هدمنا الاصل انهدم ما فوقه ونزيد ايضاحا لما أسلفنا أنه يحشر كل بأخلاقه وأرائه شرفا وضعة وبعبارة أجلى سيمر المخلوقات فى العالم من مدرسة الى مدرسة مدرسة الحياة ومدرسة البرزخ والحيوان جاهل لم يمكنه التعلم فى الابتدائية فقير لم يصل لدرجة الاغنياء واخوه الانسان أمكنه بما أوتى من المواهب أن يلحق بالتلاميذ ويرتق

وجدانه ويلحظ جمال العالم ويشاهد حكمه ويتنحى عن المعاصي فلا يدنس روحه فاذا انتظم فى سلك الجند المسافر الى الميدان واصطف في صف من حازوا درجة فى الامتحان جاز المدرسة الثانية البرزخية . شرف لا يحلم به الحيوان . فروحه خالصة وأرواحها شهوانية ما بين سبعية وبهيمية • وهذا القول وأن يكن في العقليات أشبه بالغرض فهو أقرب حل يركن اليه نوع بني آدم فى حياتهم كما قبلوا فرض (لا بلاس) فى منشأ العالم وخلقه وأنه كان كرة غازية فتكورت وتدورت وكان منها شموس وأقمار وأرض الخ وبنوا عليه كثيراً من الآراء فى العلوم والاعمال وكان مبناه التوراة فى سفر التكوين فليكن هذا الذى ذكرنا ملجأ العقلاء في مصير العالم بعد الموت ليكون لهم اطمئنانا وراحة ومستندهم هذا الدين والآية المتقدمة • على أن هذا في الحقيقة ليس أمراً فرضياً وهمياً بل قامت عليه البراهين العقلية وأيدته الفلسفة والحكمة • وليس المقام مقام ابراز البراهين عليه لئلا يخرج بنا القول عن الخطة التى رسمناها في هذا الكتاب والجادة التى انتهجناها فانما نريد الفرض من

أقرب الطرق وأسهلها على نفوس العقلاء . ومن لم تقنعه البراهين العقلية ووقف في مواطن الشكوك والحيرة والاوهام فلم لا ينظر الى التاجر والصانع والزراع والجندى فأولئك يجدون ويعملون طمعا في نيل مايبتغون ويصبرون يومهم ويسيرون ليلهم ويجدون السير لا ليقين الثمرات بل لظنهم انها تثمر وكم من مسافر أخذه اليم بسفينة وكم من مزارع اجتاحت ثمراته البوائق وأهلكتها الصواعق فبارت وأصبحت أرضها صعيداً زلقا وأصبح ماؤها غورا فلن يستطاع له طلب . وذلك دليل على أن الثمرات ليست من اليقين فى شئ وترى العقلاء قاطبة يهرعون اليها ويصبرون قليلا ليربحوا كثيراً . فليس الشك بمانع من العمل فللظن درجة عظمي في أعمال الانسان فلم لا تكون تلك النشأة التى وعد بها الناس داعية للعمل فى الحياة بالاحتياط مرغبة فى الحزم عند الذين يظنون ظنا ولا يوقنون . فلم لا يفكر فى هذا بعض الذين ينكرون من السوسياليست (هم الاجتماعيون) والنهليست (هم العدميون) (والكمونيست) هم الاشتراكيون فى هذه النظريات ولا يحتجون بالحيوان فهو انما خلق للرقي

كجميع المواليد والى هنا وقف بنا الجواد فى ميدان البحث فى الاصل الثانى

﴿ الجوهرة التاسعة عشرة ﴾

(الاصل الثالث وهو الفرع الثاني)

قال بعض الطوائف الثلاث الاجتماعيين والعدميين والاشتراكيين كما قدمنا لا بعث ولا حشر كما تكون البهائم فلم نري رجالا نعدهم عظماء علينا يهيمنون على أرواحنا ويسيطرون على أجسامنا يحكموننا ويقهروننا ويستحلون ما حرم فلم لا نشارك الحيوانات فى ملاذها وتصرفاتها ولم يتميز بعضنا عن بعض ونحن شركاء فى الحيوانية والناطقية وهذه الطبيعة والشمس والقمر والهواء والماء والارض محيطات بنا من كل جانب فما الذي ميزهم بالرفع ووسمنا بالخفض وظنوا هذا من لوازم الديانات فنبذوها لما شاهدوا دين المسيح اذ لم يروا سواه نقول لهم هذا القرآن أثبت ما ذكرتموه وجاء اشتراكيا اجتماعيا اذ جاء فيه (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم) فلم يكن لاحد فضل

على أحد الا بالتقوى وعمل البر وصلة الرحم والنفع العام حتى ورد في السنة (لافضل لعربي على عجمي الا بالتقوى) وورد يافاطمة بنت محمد لاأغني عنك من الله شيئاً عجباً لك أيها الانسان تعاليت وتشامخت وتعاظمت في ملكوتك وتكبرت في عظمتك وترفعت الي الجوازء بل وسمت نفسك بالالوهية فقال فرعون اذ جمع الجموع وحشر الرجال . أنا ربكم الاعلى . فجاء في الكتاب الحكيم على لسان سليمان عليه السلام (يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شئ) فجمع الاول جمعه لاعلان الالوهية فطأطأ الثاني وخفض من حدته وكسر من شرته فهدّ ذلك الصرح الذى شيده الانسان من قبل نخر كثيبا مهيلا وتنازل الى الحيوان وجمع الجموع وناداهم بالبشرى ها أنا نبي ولقد أوتيت علما عظيما أعطيت علوم الطيور ففهمتها فأوتيت كل فضل وهذا فضل مبين . عرف الانسان قدره ولزم حده وزال التباين واتخذ الانسان الغراب أستاذاً في قصة ابني آدم بل دعا على نفسه بالويل وتحسر ان لا يلحق شأوه في العمل فقال (ياويلتى اعجزت ان أكون مثل هذا الغراب

فأوارى سوأة أخي فأصبح من النادمين) أبان لنوع الانسان في القرآن تقارب بني آدم اذ علموا تواضع أنبيائهم فوجب تواضعهم ونبذ الكبرياء والعظمة هذا وترى ابن العربي في الفتوحات يتجاوز في ذلك حتى عد الحيوان أعلى درجة واسمى منزلة مستنداً على علومها ومعارفها ونظامها وأحكامها وما أوتيت من خدمة الانسان وكنسه لروثها واحتياجه لها بل استدل بفداء اسماعيل بكبش فكان الفداء لنبي من الانبياء عنوانا على فضل الفدية وهكذا تمادى تبعاً للخيال بل اتخذ منه الاساتذة والمرشدين . ولسنا نقصد الا ان شريعتنا أعطت الانسان درجته الخاصة به فلم ترفعه الي درجة تميز بها البعض ولا انزلته عن درجته بل رفعته عن الحيوان وانزلته عن الالوهية (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) فانظر كيف استوي الناس في مقام الوسط فصاروا اخوانا أخدانا وتراه تعالى يقول (قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً

ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون) أمران تخص العبادة والخضوع بالله وحده لا شريك له وان لا يكون لاحد فضل على أحد بل يكون الناس سواء أمرهم شوري بينهم. جاء فى الكتاب فى اليهود والنصاري (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا الا ليعبدوا الهاً واحداً لااله الا هو سبحانه عما يشركون) وسئل صلى الله عليه وسلم فقيل كيف يعبدون الأحبار والرهبان فقال أليسوا يسنون لهم السنن ويشرعون لهم الشرائع إلا فليتفطن العقلاء ولينظر البلغاء والحكماء وليعلموا أن الامر بالتوحيد وكسر الأصنام ونبذ التثليث كل ذلك لم يكن الا لتكسير قيود الرق والاستعباد وتقارب نوع الانسان. أتدري ما أثر هذه الآيات أثرها ان الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل الى ملوك العالم قاطبة أرسل الى قيصر وكسرى وملوك العرب وهذا خطابه الى قيصر. من محمد بن عبد الله الى قيصر عظيم الروم السلام عليك أما بعد فاسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فان

توليت فان عليك اثم الاريثيين (الفلاحين) ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون. هذا هو نص الخطاب المرسل الى قيصر. تأمل كيف كان التوحيد هو السياسة وهذا هومقصد الاشتراكيين والعدميين والاجتماعيين فى السياسة فعلى هذا ترى دين الاسلام دين عمران وسياسة اذ تري توحيد الخالق نزع السلطان من نوع الانسان وحصر الكبرياء والعظمة في مدبر العالم ويقول (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد ولئن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر اني يؤفكون) نبذ التثليث ترفعاً بالالوهية أن ينالها البشر أو تحل فيه لئلا تضل السياسة كما فعل القسيسون في أوروبا ولولا ان تدارك الله العالم

بالاسلام فافاض النور حتى ازاحت الغشاوة عن عين (لوتر) فنادى برفع الميزة بين البشر وترى الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم في الثلاثين سنة سارت على منواله وناهيك قصة جبلة بن الايهم وتصميم عمر على القصاص منه بلطمة اعرابي كسرت رباعيته وقوله له أن الاسلام ساوى بين الناس وانظر كيف يقول بعض الأصحاب لعمر وهو يخطب لو علمنا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا وقصة عمرو بن العاص مع ابن القبطي فى مصر معلومة اذ تسابق ابن عمرو مع ابن القبطي فضرب الأول الثانى وقال أنا ابن الأكرمين فبلغ عمر فاحضرهما بين يديه وضرب الثاني الاول بحضر من الصحابة حتى اشتفى ثم قال عمر لعمرو بن العاص متى اتخذتم عباد الله عبيداً . مضت الثلاثون فرجعت الخلافة ملكا عضوضا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون ثم تصير ملكا عضوضاً فلا بدع اذا كانت أمة الاسلام على ماهي عليه من التمايز بين الطبقات ونبذ الشورى فذلك لنبذ ما أمر به الدين . اعتاد أهل العلم أن يوردوا فى هذا المقام قوله تعالي

وأمرهم شورى بينهم ونحن نقول لو قرأنا ربع القرآن وجدناه في رفع الميزة بين البشر . ترى قصة سليمان يقول فيها قالت (أى بلقيس يا أيها الملأ افتونى فى أمرى ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون وتري هذا الكتاب الذي أرسله صلى الله عليه وسلم يدعو العالم أجمع للتساوى فى الحقوق ويدخلها في الدعوة الي الحق ولئن بقى دين على الارض فلن يبقى الا هذا الدين الذى هو السياسة الحقيقية فى العالم كما جاء فى الكتاب (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وسنورد فى قسم السياسة ما فيه غنى للفطن اه

﴿الجوهرة العشرون﴾

(منزلة العلوم من القرآن وكتاب العرب والافرنج)

مزج القرآن مصالح الدين بالدنيا فأورد فى التوحيد وحب الله آيات تجمع حكمة الكون وبهجة العالم ونظامه فبينما يتأملها المبتدى لمعرفة الله تري الذكى يشتاق الى ما أبدع فى العالم من النظام والعجائب بل كثير من الآيات أوضح

مشكلات منها وانذر من أعرض عن التوسع في العلوم الكونية من الفلك والطبيعة والجبال والأنهار والنبات والحيوان والانسان والروح وما يشمل ذلك من قوانين • وعير قوماً أعرضوا عنه وقرظ آخرين عرفوه ولكم قرر مسائل اكتشفها المحدثون وأهملها الأقدمون كقوله في ناموس الترقي (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبداً رابياً ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث في الارض) فتراه قرران مالا نفع فيه وان ظهر واشتهر فما مثله الا كمثل الزبد على الماء وفوق ما في القدر على نار الطبخ وفوق الحليه المعدنية آن اذابتها بالنار لتصاغ حلية فترى الباقي النافع للناس ما استتر بالغشاوة كالعلم اذا استتر بالجهل فيبقى الماء والذهب والفضة الخالصة وما يطبخه الناس فهكذا يبقى في الامم والاشخاص والعلوم ما يصلح لنفع الناس وحياتهم وحاجاتهم ويذهب مالا ثمرة فيه وسترى فيما سنورد ذلك في الباب الآتي وهو باب العلوم ان الدين باعتبار أصل وضعه

هو نفس الدنيا والرقي في الحياة والمادة والروح وما مثل مصالح الدين والدنيا الا كالروح والجسد والمعنى والكلم وكيف تعقل العقول الحكمة أو تنار بضياء الفهم وتبزغ فيها شموس المعارف اذا لم تنجل لها تلك الانوار والاضواء المشرقة من لمحات محيا العوالم المشاهدة التي وجد فيها الانسان. هذه العوالم غذاؤه فهي الغذاء وهي الدواء وهي المعقول ومنها تستمد آثار المعارف الحقة وتملأ الافئدة منها حكما ومعارف فهي غذاء الاجسام بأحجامها ومخازن العقول بمعانيها فهي بنية الاجسام ومعناها غذاء الارواح والعلوم والتبصرة • وورد في هذا الكتاب المقدس ما بين سبعمائة وثمانمائة كلها في الكون والاحاطة به وجاء فيه مقدار هذا العدد في الآداب ومحاسن الاخلاق والشيم وتهذيب النفوس والعجب من كتاب العرب والافرنج اذ أراهم اذا مدحوه أطنبوا في معاملاته وعباداته وجمعياته واحسانهم ولم أر منهم من حام حول علومه فابرزها أو معارفه فأظهرها الا ما كان من حكم أودعها الغزالي في مؤلفاته فقد أبدى نكتا وأودع ملحاً مع ما كان من غشاء

فلسفة اليونان والجدل والمناظرة وانصراف العقول عن العلوم
الى الفضول

﴿ الجوهرة الحادية والعشرون ﴾

(مباحث الاسلام ست)

وهي (١) العلوم جميعها وفى ذلك نحو ٧٠٠ آية (٢) نبذ ما يشين العلوم من الخرافات والضلالات والبدع والاوهام كالاصنام والرقى والكى بالنار والتفاؤل بالشر وهذا من الآيات ما يربو على الالف (٣) العمران والنظر فى أحوال الامم والسياسات وفى هذا أكثر القصص القرآنية (٤) الآداب ولها من الآيات ما يربو على السبعمائة (٥) العبادات وهى عبادات فى صورتها آداب فى معناها (٦) نظام الجمعية الانسانية فى شكلها من العقوبات والاحكام والحدود وهي فى الحقيقة ترجع الي نظام الدنيا بالذات والى الدين بالتبع نص عليه الغزالى وهذا القسم وما قبله لهما نحو ١٥٠ آية . وما كان أغلب اهتمام الكاتبين على الدين الا بها وانى أربأ بقلمي أن يتجاوز أربعة وعشرين جزأ من خمسة وعشرين فى الدين ويقف في جزء

يضيع فيه حياته وليس الايمان هو هذه العبادات وحدها كلا بل هذه هي نفس الاسلام أما الايمان فانما هو تلك العلوم والآداب والعمران ممزوجة بهذه العبادات وسنو فى كل مقام مايستحقه وأنى أري حياتي سعادة وهناء اذا لويت عنان عقول كثير من ذوي النظر الي اجتناء العلوم والمعارف الكونية باعتبار انها دين فمن أيقن بذلك تراه يقرؤها وهو يعتقد أنه فى عبادة ولتعلم أن علماءنا رضي الله عنهم يقولون أن جميع الاعمال الدنيوية متى عرف مقصدها فى الدين كان لكل حركة فيها اجر ولكل سكون ثواب بل اذا نام الحكيم فى مخدعه عدت انفاسه حسنات . واذا استيقظ فلحظاته ونظراته وكلماته وخطواته تكتب له في عليين فتثقل ميزانه وعندهم أن تفكر ساعة خير من عبادة سنة بل لحظة من الفكر خير من حياة الغافل وعابد بلا علم كشجرة بلا ثمرة . وربما ظن العاجز فى الدين أن ذلك العلم هو معرفة أحكام الصلاة والصيام الى آخره كلا فهذا لم يخرج عن كونه معرفة عبادة عملية إما العلم المقصود فهو آيات الكون وحكمه ومجالي بهجته واثاره وهل ترى دليلا على

ما ذكرناه آنفاً أجمل من قوله (إنما يخشى الله من عباده العلماء) بعد ذكر النظر فى الجبال والانهار والثمرات والالوان والدواب والانعام

﴿ الجوهرة الثانية والعشرون ﴾

(مدح العقل من الاحياء)

نرى هذا الدين يأمر بالنظر والفكر والتعقل يقول تعالى (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح) يمدح العقل ويسميه نوراً مظهراً لشرفه وسمي العلم المستفاد منه روحا ووحياً وحياة فقال (وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا) وقال تعالى (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) يمدح العلم بأنه حياه ونور ويذم الجهل بأنه ظلمة قال صلى الله عليه وسلم « يأيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه يخبركم عن ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر ردىء المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من

عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا. الحديث وقال صلى الله عليه وسلم « أول ما خلق الله العقل فقال له اقبل فأقبل ثم قال له ادبر فأدبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أعز علي منك بك أثيب وبك أعاقب وبك آخذ وبك أعطي وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم أيمانه وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس. وقال صلى الله عليه وسلم لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار فى النار (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) وعن عمر رضي الله عنه أنه قال لتميم الدارى ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت. سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتك فقال كما قلت. ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد فقال العقل. وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال كثرت المسائل يوماً على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان لكل شيء مطية ومطية المؤمن

العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبلى مالم يبل فلان ونحو ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيلهم على قدر عقولهم فاجيب منهم من أجيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم . وعن البراء بن عازب انه صلى الله عليه وسلم قال جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر عقولهم فاعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا . وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله بم يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل قلت وفى الآخرة قال بالعقل قلت أليس انما يجزون بأعمالهم فقال صلى الله عليه وسلم لكل شئ آلة وعدة وآلة المؤمن العقل ولكل شئ مطية ومطية المرء العقل ولكل شئ دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل

قوم داع وداعي العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرئ عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذى ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر قسطاس وقسطاس المؤمنين العقل اه . فاذا كان العقل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة من الشرف وانه لا إيمان ولا دين ولا علم ولا دنيا ولا آخرة الا بالعقل فليكن هذا الدين دين العقل والفكر لا دين تقليد ولذلك لا يسمى الانسان فى نظر علمائه مؤمناً مصدقاً بما سمع الا اذا عرفه بعقله وصدقه وأقام عليه البرهان وعندهم ان العقل اذا صادم النقل يقدم العقل عليه والنقل مؤول لمعنى يناسبه والا كان مما اختص الله بعلمه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

﴿ الجوهرة الثالثة والعشرون ﴾

(الاقسام مفاتيح العلوم)

اعلم ان الله أقسم بأشياء مما خلق وعمد الى ماجل شكله

وعظم نفعه وبهر حسابه فعدده فى أقسامه . ولعمري ان النوع
البشرى لن يقسم الا بمعظَّم لديه أو بمسيطر عليه . يقول الولد
وحق والدى . وتقول الرعية ورأس فلان الحاكم . والجندي
يقسم بشرف الجنديه ويقسم الوزراء بالملوك . ونسمع الرجل
يحلف بعينه لما يرى من منفعتها وزينتها . وقد أقسم الله بأشياء
عددها وصنوفاً من نعم أبدعها كالشمس والقمر والكواكب
ولم يكن ذلك لخوفه منها فأنه الخالق لن يهاب ماخلق ولن
يحتاج لماذرأ وأبدع . أقسم بها اذ رأى نوع الانسان يقسم بما
عظم نفعه وعز عليه فالقمهم وأيقظهم الى ماذرأ ونبههم الى
مصنوعاته ليعرفوها فلم يرد أن يعبدوها اذ لا اله الا الله
فالأقسام بها يرجع الى عزتها وشرفها ولم يكن ذلك لتحريضهم
على الحصول عليها وحوزها في حوزتهم فذلك مستحيل فرجع
الأمر الى العلم وفات الانسان أن يملك هذه العوالم ويسيطر
عليها اذ لا سلطان الا لواحد هو الله فكان المقصود من
الأقسام فى حقهم أن يعرفوا جلالة ماصنع ويتبعوا حركات
الافلاك وعلوم الضوء وحسابه والمشارق والمغارب ويشرح

تلك الأجسام ويلاحظ حركاتها وسكناتها لترقي نفوسهم الى
علوها وشرفها فتراه عز شأنه أقسم عشرين قسماً بالاجرام
العلوية وخواصها وأضوائها ومواقعها تراه أقسم بالفجر والفلق
وهو الصبح والشمس والضحى والنهار والعصر والليل اذا
يغشى (يغطى) المخلوقات كأنه ملاءة منشورة عليهم والليل
اذا يسري يسير حول الكرة الارضية تابعاً النهار والنهار
يتبعه وأقسم بالليالي العشر فى أول كل شهر عربي لغلبة ظلامها
على ضوئها وأقسم بالنجم اذا هوى تنبيها على مغارب النجوم
وايقاظاً لها وأقسم بمواقع النجوم وأماكنها الواقعة فيها ودوائرها
ثم أعقبه بقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فاذا أقسم وعظم
القسم فهل يكون ذلك الا لألفات النفوس اليها لتعرف مواقعها
وقياسها وابعادها وحركاتها وسكناتها وقال (أقسم برب المشارق
والمغارب) أى محل الشروق والغروب وأقسم بالشفق وبالليل
وبما وسق الليل أي جمع وأقسم بالقمر وبالسماء ذات البروج
تنبيها لمعرفتها لتعرف السنون والشهور والأيام وأقسم بالسماء
ووصفها بانها ذات الحبك أى طرق النجوم وبالقمر اذا اتسق

أي امتلأ بالنور وأقسم بالسماء وبمن بناها وأقسم بالنازعات
غرقا وهي النجوم التي ترمى شهباً عن دوائرها المشبهات
القوس فكأن النجم انسان والدائرة قوس والشهاب الساقط
سهم وذكر انها نشطات فى سيرها مسرعات فيه تتم دورانها
كالشمس فى سنة والقمر في شهر فقال (والناشطات نشطاً
والسابحات سبحاً فالسابقات سبقاً) أى النجوم التى تسبق غيرها
وتتم دورتها سريعاً (فالمدبرات أمرا) وهى هذه النجوم لانها
بها يتم تدبير العالم فذكر هذه الكواكب والعوالم ومواقعها
لتحرض السامعين على البحث عنها فيعرفون الفلك والميقات
وحساب الكواكب وابعادها واجرامها وتحليلها واعدادها
بقدر الاستطاعة ويبحثون عن الضوء فى الطبيعة . ثم انه تعالى
أقسم بذكر أشياء أخرى مما تحت الفلك وأحاط بالكرة
الأرضية فأقسم بالرياح الذاريات) وبالجبال فقال (والذاريات
ذرواً فالحاملات وقراً) أى الرياح التى تحمل السحاب وتذرو
الاشياء . وأقسم بالارض وما طحاها فالارض مفهومة وطحوها
دحيها وتسويتها واتقانها وأقسم بالجبل فقال وطور سينين

وبالنبات (فقال والتين والزيتون) وبالبلد الذى خرج منه سيدنا
محمد صلى الله عليه وسلم (فقال وهذا البلد الأمين) وأقسم
بالخيل فقال (والعاديات ضبحاً) أى الخيل التى تعدو وهي تضبح
في الجرى ضبحاً وأقسم بكل من يحس وكل ما يحس فكأنه
قسم بكل محسوس وبكل ما يحس بذلك الاحساس وكأنه
قسم بالناطق والصامت فقال (وشاهد ومشهود) وأقسم بيوم
القيامة وبيوم الجزاء ويوم الميعاد الذى سيجازى فيه الناس
وأقسم بالكتب المسطرة المنثورة وهي ما يقرؤه الناس وأقسم
بالبحر ثم عمم القسم بكل ماخلق فقال (أقسم بما تبصرون ومالا
تبصرون) فكأنه أقسم بكل شيء اذ العالم قسمان مايبصر ومالا
يبصر وجاء بتعميم اخر فأقسم بالشفع والوتر ولا ريب ان العدد
أما شفع أو وتر هذه نحو عشرين قسما أحاط بها الارض
والهواء والسحاب والجبال والنبات والحيوان وخصص
الانسان منه فقال (ووالد وما ولد) أى أقسم بادم وأولاده وغيرهم
وخصص ذلك بعد فقال (ونفس وما سواها) فأقسم بالنفوس
وتسويتها فتراه أقسم بأمهات العالم كلها وأخيراً أقسم بكل ما

خلق مما نشاهد وما لا نشاهد تفيد هذه الأقسام بالعلويات
وهى تبلغ العشرين وبالسفليات وهي تبلغ العشرين أيضاً ان
الله أمر عباده وأوجب عليهم النظر في العلويات والسفليات
بالتساوى وفي الحساب والهندسة والطبيعة والكيمياء وعلم
العمران والنفس وجميع العلوم اذ لم تخرج في البحث عما ذكر
في تلك الأقسام التى أقسم بها مبدعها وكأن الامة التى جهلت
ما أقسم به وأعرضت عنه ولم توفه حقه فى النظر فقد أعرضت
عما أقبل عليه مبدعها وأزورت عما أراده خالقها . جعلنا هذه
الأقسام مفاتيح العلوم لانه ذكر جواهر الأشياء فيها ليلفت
اليها العقول ويحرض على البحث عليها العلماء والأمم ولم نقل
انها العلوم لان الايات التى سنذكرها قريباً سنعطي لكل
جوهر من هذه الجواهر قسطه وتوفيه نصيبه غير منقوص
فاذا طالعت أيها القارئ ما سأقص عليك من كتاب الله
تعالى والآيات الواردة فى الحض على العلوم فستعجب كل
العجب ولتجدن ان الدين دين العلوم والحكم . دين العمران
والنظام . دين المدنية الحقة . دين رقى النفوس . دين ارتقاء نوع

الانسان . دين بقى كنزاً مخفياً لم يكتشفه علماء العصر المفكرون
دين خيم عليه عناكب النسيان وأحاط به سور الهجران واضحى
في خبر كان اللهم الا جزءاً قليلا من عباداته ومعاملاته التى
تكفى لحياة الضرورة وانى لارجو أن يكون كتابنا هذا كاشفاً
عن محيّا جلاله . مظهراً جمال بهائه . مسفراً عن كنه معانيه . باسطاً
شارحا مبيناً . وانى أستعين بمسبب الاسباب مدبر الخلائق
القادر الحكيم أن يلهمنى الصواب ويوفقني كما ألهمني انه سيجيبني
انه لطيف بعباده رؤف رحيم

﴿ الكلام على معارف الدين الاسلامي ﴾

نذكر هاهنا بعد ما ذكرناه سابقاً لفوائد

إعلم ان معارفه تنقسم كما قدمنا الي ستة أقسام (١)
العلوم الكونية وهي أهمها ويدخلها توحيد الله تعالي (٢) نبذ
الخرافات كعبادة الاصنام والشرك بالله (٣) الاخلاق
كالصدق والأمانة وحب المؤمن للمؤمن (٤) العمران
والنظر في أحوال الامم (٥) العبادات وهى تتم الاجزاء
السابقة فى الدنيا وتعرج بالعبد الى ربه في الآخرة (٦)

الأحكام والحدود والعقوبات وهذه ترجع الى أحوال الدنيا ونظامها بالذات والى الآخرة بالتبع ولنذكر هذه الأقسام اجمالاً من كتاب الله تعالى حتى يتخيل القارىء هذا الدين من نفس الكتاب الاصلي المقدس ويقف عليه اجمالاً ثم نرجع فنفصله بقدر الاستطاعة مع الاختصار ومع التنبيهات اللائقة بها تذكرة للقارىء ولعلنا نفسرها تفسيراً وافياً ان شاء الله تعالى

﴿ الجوهرة الرابعة والعشرون ﴾

(الباب الاول اجمال معارف القران)

(١) العلوم الكونية أوجب الله على الناس تلك المعرفة في الكتاب المقدس فقال (قل انظروا ماذا فى السموات والارض) فأمرهم بالنظر ولم يكن النظر مجرد التحديق الى السماء بالحدقة فأدنى رجل ينظر ببصره وإنما ذلك الاعتبار بالبصيرة والفكر بالقلب ولما أعرض قوم عن ذلك وبخهم وأنذرهم (فقال أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شئ وان عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون) وانذر الأمم انها ان لم تنظر فى

فى هذه الدنيا وعوالمها فسوف تفنى أجمعها بالجهل وتذهب الى النار (وقال ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب) الذين يذكرون الله قياماً وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار وقال (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون) وقال (ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون) فهذه خمس آيات تشتمل النظر فى العلوم جميعها من الفلك والسحاب والماء والهواء والحيوان وتشريحه والسفن ونظامها وان شئت أن تسمع آية تشتمل العالم كلها فاقرأ قوله

تعالى في سورة النحل (خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين الخ قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الله لغفور رحيم) ولأكتف الان فى القسم الأول وهو قسم العلوم بهذه الايات ونكل الأطناب الى التفصيل الاتى في الجزء الثالث

ألا تنظر أيها القارئ كيف كنت الى الآن لم أذكر التفصيل وتعجب كيف ورد على سمعك ما دعاك الى التصديق والاذعان ألم تسمع ما أقسم به من أجرام العالم العلوية والسفلية مما يهيج النفوس العاقلة والقلوب المفكرة والنفوس الزكية الى البحث والنظر وها أنت سمعت بعض الايات وهي ست من سبعمائة ونصف مائة وكلها فى الحث على العلوم كلها ما بين روحانية وجثمانية علوية وسفلية فكيف بك اذا سمعت ما سنتلوه عليك مما ستستغرب منه تأخر المسلمين الحاضرين ورجوعهم الي مصاف الضعفاء ذلك أنهم نبذوا أعظم الاشياء ورؤسها واتبعوا ما سهل مأخذه من الحركات الجثمانية وفروا من العقلية والادبية

﴿ الجوهرة الخامسة والعشرون ﴾

(القسم الثانى نبذ ما يضر العقل ويخالف العقيدة)

يقول توبيخا للجهال على عبادة الاصنام (١) أفرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى) اللات والعزى ومنات هي ثلاثة أصنام يعبدونها يقول لهم ما رأيتم الا هذه الاصنام المحقرة التي لا تنفع (٢) قال (أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون) فيقول لهم كيف تعبدون ما صنعتموه بنفوسكم والله خلقكم وهذه الاصنام المنحوتة (٣) وقال أف لكم وما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون) يقول لهم موبخا بعدا لكم وسحقا أنتم وكل ما تعبدون غير الله فان المعبود لابد أن يكون واحدا ويقول الله (٤) (وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصاري المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهؤن قول كفروا من قبل قاتلهم الله أني يؤفكون) يذم قوما جعلوا الله ولدا كالنصارى وبعض اليهود وقال أنهم يشابهون من قبلهم من الامم يعظمون بعض العظماء حتى يتخذونهم أبناء الله ثم دعا عليهم فقال قاتلهم الله وهذه اشارة الى لعنتهم وخزيهم وقالو أني

يؤفكون أى كيف يصرفون عن العذاب وقال حكاية عن ابراهيم الخليل ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين قالوا اجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين الخ) وهكذا حكاية موسى فنها (قال بل ربكم ورب آبائكم الأولين قال أن رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون) هذه صورة محاورة بين ابراهيم وقومه وموسى وفرعون ذكرت فى القرآن لترشد الامة الى ترك الاضاليل وانتهاج الحكمة والعلم وتوحيد الله . هذا الدين لا يأخذ الا بما هو معقول ولا يرضى بالتقليد فى جميع الامور قال تعالى (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب) فأمر الانسان بالاحسن الا وهو المعقول النافع وأن ينبذ الناس ماليس باحسن وبشرهم وجعلهم خواص عباده وأثنى عليهم بانهم مهديون وأنهم أولو الالباب وانظر المحاووة التي جرت بين

موسى والسحرة وبنى اسرائيل فيما ذكر الله فى القرآن ترأن سحرة فرعون لما أنهم علموا مقدار علم السحر وأيقنوا أن العصا لن تبتلع الحبال بنواميس السحر الذى يشاركهم فيه موسي فلم يبق الا أن هذا أمر سماوي فامنوا بالبرهان المناسب بازواقهم وعقولهم فثبت الايمان عندهم وأصبحوا موقنين مع أنهم أعداؤه وهم عبدة فرعون وجنوده واعوانه وسحرته وعليهم كان اعتماد أمة المصريين فى نشر دينهم القديم ونبذ هذا الدين الحديث أما بنو اسرائيل فلما لم يكونوا من الحكماء ولا هم من جلة العلماء خاطبهم بما يليق بعقولهم وما يناسب علومهم مما يحس بحاسة البصر فرأوا العصا تلقف السحر العظيم ويد موسى بيضاء بعد ان كانت سمراء فامنوا ايمانا ظاهريا حتى اذا مضت الايام وخرجوا من البحر الى حدود اسيا (قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون أن هؤلاء متبر ماهم فيه وباطل ما كانوا يعملون) أى أن عمل هؤلاء هالك وباطل (قال أغير الله أبغيكم اله وهو فضلكم على العالمين) هذه المحاورة كجميع قصص القرآن جعلت عظة للناس وتفقها وحكما بالغة يراد

منها تلك المغازى والحكم والاسرار والسر هنا أن الجاهل الذى يؤمن بالظواهر لاثبات لأيمانه الا بما يقومه آنا فانا. الا ترى أن موسى عليه السلام اذ غاب عن بنى اسرائيل أربعين يوماً أشركوا بالله وعبدوا العجل لان من آمن به لاجل العصا وهي من عالم الشهادة وقد تلقفت السحر لامحالة يؤمن بعجل من ذهب له خوار لالتباس المحسوسات بخلاف المعقولات إذ هي متمايزة صادقة لا ليس فيها فسحرة فرعون خاطبهم فرعونهم بقوله لاصلبنكم في جذوع النخل فقالوا انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وصبروا على القتل والموت بثبات اعتقادهم بدينهم أما بنو اسرائيل فتزلزل أيمانهم لشئ صغير وهو رؤية عجل مصنوع بهرهم صنعه ولما رأوا أقواما يعبدون صنما تقهقروا الى عقلهم المعهود وفكرهم المحدود وسألوا الاصنام أن يعبدوها . هذه المحاورات وأمثالها كثيرة في القران حتمت على الناس ان يكونوا في إمورهم الدينية والعقلية والمعاشيه متبعين العقل . ذم من أعرض عن التعقل فى ايات كثيرة فقال (ام تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام

بل هم أضل) والآيات فى هذا ربما تبلغ نحو الالف فى القرآن وكم ندد على من ترك التذكر والتعقل وكم مرة يقول أفلا تعقلون أفلا تبصرون أفلا تذكرون وبالجملة فهذا الكتاب كله يبحث عن العقل والفكر والنظر والتأمل حتى لايعمل الانسان عملا الا عن صدق وسيأتى تفصيل هذا فى الباب المفصل فيه

(القسم الثالث) الآداب فى الكتاب الكريم نحو ثمانمائة آية فى الآداب ومحاسن الأخلاق والمعاملات فتراه تعالى يأمر بالصدق وبر الوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ومواساة الفقراء والجهاد فى سبيل الله علما وعملا وحكمة ولأذكر لك الآن آيات فى هذا الفصل تناسب الاجمال كسابقيه فنقول قال الله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلاتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون

الفردوس هم فيها خالدون) فى هذه الآية أمر بالخشوع في الصلاة لترجع النفس فيها الى عالمها المقدس . وأمر بترك اللغو من الاقوال والأفعال فيزن الانسان جميع حركاته وسكناته وأمر بالزكاة وهى اخراج جزء من المال للفقراء والمساكين معلوم في بابه . وأمر بترك الزنا . وقربان النساء الا ما أحل ومدح الذين يراعون الأمانة والأموال والعلوم والاسرار والعهود والتى أخذها الله أو الناس . ومدح الذين يحافظون على صلواتهم ثم ذكر أنهم هم الوارثون وهذه الآية فيها ثمان وصايا . وهاك آية فيها عشر وصايا فمدح الذين يدينون بهذا الدين . ويصدقون ويطيعون الله . ويصدقون في الاقوال والافعال . ويصبرون على ما ألم بهم وعلى الاعمال الواجبة . ويتواسون ويتصدقون بما قدروا . ويصومون أياماً فى السنة لتنجلي لهم روح عالية فى نفوس صافية . ويحفظون فروجهم . ويذكرون الله كثيراً فهذه عشر صفات للمؤمنين والمؤمنات جمعت فى آية وهى بترتيب ماذكرناه كالشرح لها مقدماً (إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات

والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيما) وهاك آية جمعت اثنى عشرة وصية وهي (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) بالوقار والكمال (واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) العفو عن أراذل الناس والمسامحة فى صغار الأمور (والذين يبيتون لربهم سجداً وقياما) التهجد . ويلحق به كل عمل من العبادات (والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما) لازما . يريدون أن تخلص نفوسهم من ذنوبها ويعرفون أن بين ذنوبهم وعذاب نفوسهم ملازمة فاذا لازمتهم الذنوب بالغرام بها لازمهم العذاب فى نفوسهم . ولحقهم الأذي العظيم بعد موتهم فى جهنم (انها ساءت مستقراً ومقاما والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) وسطا . حث على التوسط فى النفقات وترك التبذير والبخل (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر) لا يشركون بالله شيئاً وذلك بأن

العالم الذي نحن فيه واحد وكل كوكب أو مجموعة شمسية كعضو من أعضائه فكأن العالم كله انسان واحد له أعضاء فالمدبر له واحد كما أن الانسان الواحد تدبره نفس واحدة (ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما ومن تاب وعمل صالحاً فانه يتوب الى الله متابا والذين لا يشهدون الزور) كل شهد محرم أو لغو لا منفعة فيه أو لا يحضرونه (واذا مروا باللغو مروا كراما) هم لا يحضرون وإذا مروا به بلا قصد مروا سراعاً سكوتا (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعميانا) انهم فى مجالس اللغو كارهون وإذا سمعوا الحكم والعلوم ومعرفة الله تعالى أذنوا لها واستمعوا لها (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين) يجهدون أنفسهم بالدعاء والعمل أن يتبعهم أزواجهم وأبناؤهم (وجعلنا للمتقين اماما) يداومون على دعوة الأمة لما يعلمون

فيهذبون أنفسهم وأهليهم وأمتهم (أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما) وعدهم بالجنة وبالبشر لهم عند اللقاء) خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاما) وفي سورة الاسراء أربعة وعشرون وصية متتابعة (١) عبادة الله (٢) ونبذ الشرك (٣) والوصية بالوالدين احسانا (٤) ولا يقال لهما أف أي بترك أقل هفوة من قول أو عمل معهما (٥) ولا ينهرهما أي لا يفعل معهما فعل ولا قول يقال لهما فى غلظة (٦، ٧) التواضع لهما والدعاء لهما بالرحمة بما ربوه من قبل (٨) الاحسان لذوى القربي والمساكين وابن السبيل (المسافر) (٩) ترك التبذير فى الاحسان والانفاق (١٠) الاعتذار بجميل القول اذا قل ماله (١١) ترك البخل (١٢) التوسط فى الانفاق فيكون قواما (وسطاً) (١٣) لا تقتل النفس الا بحق (١٤) ترك الزنا (١٥) النهي عن قتل الابناء (١٦) ترك الاسراف فى القصاص عند القتل (١٧) عدم الظلم فى مال اليتيم (١٨) الوفاء بالعهد لله وللناس وللرسول وللكتاب وللذمة وللعلم (١٩) وفاء الكيل (٢٠) وفاء الوزن ٢١، ٢٢، ٢٣

ترك الفضول من القول والعمل لان السمع والبصر والقلب
يسأل عنها المرء يوم القيامة (٢٤) ترك الخيلاء والكبر هذه
(٢٤) نصيحة وضحت في الآيات المتتابعات بالترتيب الذى
ذكرناه والنسق الذى انتهجناه وهي (وقضى ربك أن لا تعبدوا
إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما
فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما
جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً ربكم
أعلم بما فى نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا
وآت ذا القربي حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً ان
المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً
وأما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا
ميسوراً ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
فتقعد ملوما محسوراً ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
إنه كان بعباده خبيراً بصيرا ولا تقتلوا أولادكم خشية أملاق
نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأً كبيرا ولا تقربوا الزنا انه
كان فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق

ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل
انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هي أحسن
حتى يبلغ أشده وأفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا وأوفوا الكيل
اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلا
ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل
أولئك كان عنه مسئولا ولا تمش فى الارض مرحا انك لن
تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه
عند ربك مكروها ذلك مما أوحي اليك ربك من الحكمة
ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحوراً) وهذا
آخر (٢٤) نصيحة ولأقص عليك في هذا الاجمال آية فيها
أثنتا عشرة وصية وهي (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين
احسانا وبذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والجار
ذي القربي والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل
وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا)
أوصى بعبادة الله وتوحيده والاحسان الى الوالدين والاقارب
واليتامى والمساكين والجار القريب الملاصق والجار البعيد

غير الملاصق والصاحب الملازم لك في مدرسة أو منزل كالزوجة ونحوهم والمسافر في الطريق وأعلن عدم حبه للمتكبرين المفتخرين البخلاء بالمال والعلم الآمرين به لسواهم فهذه ١٢ وصية. وهاك عشر نصائح في آية وهى التوبة والعبادة والحمد لله والسياحة فى الارض والركوع والسجود والامر بالمعروف والنهى عن المنكر وترك المحرمات والتصديق بالبراهين وهذه هي الآية (العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين) فهذه ٧٦ وصية بعضها في آيات ذكرناها لك الآن في هذا الاجمال تعجيلا للفائدة وقبل فتح باب التفصيل لترى أمراً غريباً عجيباً في هذا الكتاب ولا مسك بعنان القلم عند هذا الحدفي الآداب وأكل الاسهاب فيه الى وقت التفصيل فيما سيأتى ان شاء الله تعالى قريباً



الباب الرابع

الجوهرة السادسة والعشرون

(العمران والسياسة فى القرآن)

سترى فى كتابنا هذا أن أكبر اهتمام القرآن بالعمران وأحوال الدول والممالك وكم أمر بالنظر فى أحوالها والتأمل في دمار قوم وحياة آخرين . ولنذكر لك في هذا الاجمال آيات تتضمن جملا من علوم العمران. ونتبعها ببضعة أحاديث إجمالا على شريطتنا التى اشترطنا وخطتنا التى التزمنا . ترى القرآن يأمر الناس في سورة بل في كل بضع آيات بالتوحيد وترك الاشراك بالله وقد بالغ في ذلك وكرره وأكده وأوعد بالعذاب حتى قال ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء فاعلم أن ذلك لحكمة عظيمة وهما أمران عظيمان وركنان قويان وأصلان مهمان

ألا وهما تحقيق العلم ودوام العمران أما الاول فاذا علم المرء أن الخالق القاهر المسيطر العالم بالغيوب الحكيم واحد لا غيره

عرف أن العالم كله لم يصل أحد فيه إلا لشيء محدود من علمه
فيجد في المعارف بالبرهان لا بالتقليد، ويتحقق منها أن لا وحي
بعد من أنزل عليه هـذا الكتاب واتخاذ الابناء لله قد بطل
حكمه وظهر كذبه فلم يبق إلا التشمير عن ساعد الجد فى فهم
العلوم بالعقل انتهاجا لحظة هذا الدين . ولقد كانت الامم البائدة
تتخـذ الاحبار والرهبان أربابا فيعتقدون كلما أوحوا اليهم من
الخرافات وظلمات سحب الجهل فيغشون أعينهم بمفـترياتهم
وأباطيلهم . ولعلك تقول فلنأخذ عن نبينا . وها هو كتاب الله
وهاهو الحديث . قلنا نعم ولكن تري هذا الكتاب والحديث
يرشداننا الى النظر فى كل شيء . والتحقق من كل شيء في
آلاف من المواضع فالبحث في العالم من مقتضيات هذا الدين
والتاركون آثمون . أما قرأت (وكم من آية في السموات والارض
يمرون عليها وهم عنها معرضون) «وأما الثانى» فان الامة اذا شعرت
بمساواة النوع البشرى فى الحقيقة . وأن الاله مترفع عن المادة
وما تراه فى الارض متساو في الوجود والعدم مربوب مخلوق
مقهور سار على قوانين اخترعها مبدعها فلا شك أن الامة

تشترك في كل شيء ويقتسمون الحياة كل بقسطة عدلا وصدقا
ويتشاورون . فيكونون خلفاء الارض جميعاً ولهم الشورى وسن
القوانين وغير ذلك على ما عليه الأمم المتمدنة . على هذا نري
التوحيد يقصد به الصدق فى العلم تحقيقاً وفي العمران صدقا
ولعلك تستبعد ما ذكرناه وتعـده من المغالاة فى التفاسـير
والاحتيال فتذكر ماقلناه آنفاً في قوله تعالى (اتخذوا أحبارهم
ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم) الخ « وفسره
النبي صلى الله عليه وسلم » اذ سئل عن ذلك فقال يسنون لهم
السنن ويشرعون لهم الشرائع فسمى تسنين القوانين الوهية
والشارع واللسان وبهـذا اتضح ما ذكرناه . ولو تذكرت
كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ملوك العرب والعجم
والروم وقوله (ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
ألا نعبـد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخـذ بعضنا بعضا
أربابا من دون الله)

فتأمل كيف جعل صلى الله عليه وسلم ترك ربوبية
المخلوق من لوازم الدعوة الا وهى التساوي في الحقوق وأن

لا يسن قانون الا بعرضه على الأمة حتى يكون اجماعا برضاها وهاك آيات تحث الناس على النظر فى أحوال الامم والاعتبار بها . وبخ الله قوما وندد عليهم فقال (١) (أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) ورب قائل يقول هاهم أمم الشرق لهم أعين ولهم قلوب ولهم آذان ومع ذلك فما عرفوا شيئاً عن أحوال بلادهم فضلا عن غيرها فقال عقب الآية السابقة (فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) وقال فى هلاك الامم بظلمها (٢) (وكم أهلكنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين) فالأمة الظالمة مستعدة للهلاك وحلول غيرها محلها وقد جرت عادتهم أن يحسوا بمستقبل أمرهم فيريدون التخلص من الدمار والافلات من العذاب فلا يقدرون (فلما أحسوا بأسنا اذاهم منها يركضون لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً خامدين) فلا يزالون يعترفون بالظلم والكذب والجهل ويودون المهاجرة من البلاد والعدول عن

الظلم والاخلاق الفاسدة فترهقهم أخلاقهم ويغشيهم ظلمهم وهم في أماكنهم (٣) (ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون) وذلك بقطع المواصلات البريه والبحريه وتخريب البلاد وقطع الاسلاك البرقية براً وبحراً أو عدمها . ينشأ ذلك إما من الظلم أو الجهل بصنعها فتتخرب ويفنى صانعوها ويبقى الناس منفردين متقاطعين كما كانت الأمم فى زمن الجاهلية من العرب . الشرك فى العبادة داع حثيث الى ظلم المستبدين من حملة الدين أو من أقامهم أولئك الحاملون . وعليه حرمت عبادة أى مخلوق من إنسان وحيوان وحجر مصنوع ونبات وشجر وجبل وطير وحشرات فالاعتقاد بذلك يجر الى الاعتقاد بتنزيه الانسان ولو بطريق المشاكلة فيستبد بالناس ويهلكهم (٤) (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كانت عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين) تخربت بلادهم لشركهم بالله الداعي للشرك فى السياسة (٥) (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله الآية) وقد تقدمت فلا نطيل بشرحها (٦) (هو الذي جعلكم

خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم) خاطب الناس جميعاً بالخلافة فكل مسئول عن أمته لا فرق بين رفيع ووضيع فتراه رفع الدرجات وقسم العقول وسأل كلا بمقدار ما أوتى من العقل والصناعة والعمل فذلك قوله (ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما أتاكم) (٧) (واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أو لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا ومادعاء الكافرين إلا في ضلال) فترى هذه المحاجة هى الحاصلة الآن فى الدنيا مشاكلة لما يحصل بعد مفارقة الارواح أبدانها. يقول الضعفاء لرؤسائهم أنتم المسئولون ونحن الاتباع فهل لكم أن تدفعوا عنا الدمار والخراب فيقول العظماء عظم الكرب وحكم الرب وجاء الويل وطم وعم فيسأل الناس جميعا بقلوبهم وألسنتهم. كما تشاهد فى الامم المظلومة ويقولون من لنا بالخلاص فلا يجاب لهم. كما قال

هلاكو اذ دهم بغداد. وقال للمعتصم وهو على شفا الموت هاهو اهمالك في أمور رعيتك أوقعك في العذاب وانظر هذا الجوهر والزمرذ والياقوت والمرجان الذى تراه أمامك نهبته من خزائنك وأنت بين يدي واذا كان هذا فعل الله في الدنيا فسيكون الحكم هكذا فى الآخرة (ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت) (ولن تجد لسنة الله تبديلا) (ولن تجد لسنة الله تحويلا) فمن هذا ترى أن الرؤساء والمرؤسين مسئولون عن أممهم وهذا معني مسألة الانتخاب والشوري ومجلس النواب وهكذا وفى آية أخري (ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين) الايمان هو المعرفة والعلم بالله وبغيره من المخلوقات ديني أو دنيوي فان هذا معناه في اللغة (قال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون) فكأنه يقول ماجعلت

الاغلال في أعناقهم في الآخرة الا وقد وضعتها في أعناقهم
في الدنيا فغلت أيديهم وعقولهم بالجهل وذلوا لاستبداد الرؤساء
وقلدوهم واتكلوا على مالديهم من السطوة وظنوها مناط العلم
فجازاهم الله في الآخرة وجعلهم جهلاء معذبين محقرين لجهلهم
في الدنيا وتبرأ الرؤساء من المرءوسين كما يحصل في الدنيا عند
استبداد الحاكمين على المحكومين ووقوع العذاب عليهم فتراهم
يتبرءون ويقول الضعفاء جهلنا بمكركم علينا وتدبيركم الحيل
في الليل والنهار لتبقى لكم الرئاسة وحدكم وتدعونا في جهلنا
نرسف في قيود الذل والجهل وترسلوا علينا غاشية من سحاب
الجهل المزجاة بعواصف المكر المدبرة بأيدي استبدادكم
وظلمكم (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)
أفلم يهد لهم كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم
ان في ذلك لآيات أفلا يسمعون) أمرنا أن ننظر آثار الامم
ونحفر الآثار ونقرأ الاحجار. ولم يكفه ذلك حتى قال أن
في ذلك آيات أي علوماً وآدابا وأخلاقا ثم قال أفلا يسمعون
ما خطه الأولون وزبره الأقدمون في مطمورات الأرض

(١١) (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها
عبادي الصالحون) وعد ببقاء الامم النافعة الصالحة في الارض كما
وعد باهلاك الامم التي لا تنفع لعمارتها (١٢) (قل ياأهل الكتاب
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك
به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله) ولقد قدمنا
في هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم أرسل كتابه الى الملوك
بهذا الوضع كما في البخاري وفسر الربوبية بسن السنن وتشريع
الشرائع. فخاطب النبي صلى الله عليه وسلم الملوك بالصيغة النيابية
ونبذ الاستبدادية. ولذلك نرى العلماء يعتبرون عندنا الاجماع
من الادلة الشرعية فكأن القرآن إذ ظهر في الشرق ظهرت
ثمرته في الغرب. فكأن الشرق الى الآن لم يستيقظ من غفلته
فسبحان مقسم العقول والحظوظ. أكثر قصص القرآن
وردت للعمران. وسيرد عليك عند التفصيل قصة فرعون
وموسى وما كان من اذلال بني اسرائيل واستكبار فرعون
وقومه وتكوين دولة جديدة من الأمة الصغيرة في الشرق من
سوريا وهم بنو اسرائيل (١٣) (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا

في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض
ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)
يشير الى أن الضعيف متى صبر أضحي ذا شوكة الخ وترى
يوسف وقصة عاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط وقوم نوح
وقصة آدم وخلافته في الأرض . وكل منها له قسط من
العمران فعاد أهلكوا بطغيانهم . وثمود بافترائهم . وقوم
شعيب بتطفيف الكيل وقوم لوط باللواط فقل النسل وقوم
نوح هلكوا لانهم لا يصلحون لعمارة الأرض . وقصة آدم
تشير إلى أنه وبنيه خلفاء الله في أرضه متساوون في الحقوق
ولنقتصر على هذا القدر من الكتاب وهاك ماورد في السنة
من جمل تريك علامات دنو أجل الأمة وسقوط الدولة

فأخبر صلى الله عليه وسلم أن أسافل الناس اذا علوا على
الحكومة سقطت الأمة وتقلص ظلها وعبر عنه بتطاول رعاة
الابل في البنيان وقال أيضاً ان الرجال إذا أكثروا من الاسراف
واقتناء الجواري كان علامة على دنو زوال الامة من الوجود
وعرفه بأن تلد الامة ربتها أي سيدها وفي هذا القول معنيان

مصطحبان كثرة النساء والاسراف بينهن واختلاط الاجناس
فاذا اتخذ الرجال الاماء وهن من أمة أخرى جرى الدميان
واختلاط الجنسان وضاع كيان الأمة وسقطت من شامخ
مجدها ورفيع قدرها وزالت وحدتها كما ذكره اسبنسر
الفيلسوف الانجليزي للفيلسوف للياباني اذ سأله عن اليابانيين
أيتزوجون من الاوروبيين قال كلا لئلا يختلط الجنسان
ولا يحفظ الكيان ولا يلتئم الزوجان وعلله بعلة صحية ونحن
نعلل بالصحة والاجتماع معاً . والحديث في البخاري كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بارزا للناس فأتاه رجل فقال
ما الايمان . فقال الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وبكتبه ورسله
وتؤمن بالبعث . قال ما الاسلام . قال الاسلام أن تعبد الله
ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان
قال ما الاحسان . قال الاحسان أن تعبد الله كانك تراه فان
لم تكن تراه فانه يراك . قال ما الساعة قال ما المسئول عنها بأعلم
من السائل . وسأخبرك عن اشراطها اذا ولدت الامة ربها واذا
تطاول رعاة الابل البهم في البنيان في خمس لا يعلمها الا الله

ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الآية ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيئاً . فقال هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم وعبر عن المعنى السابق بما هو أوضح فى حديث آخر قال اذا أضيعت الامانة فانتظر الساعة . وفي حديث ان من إشراط الساعة أن يقل العلم ويكثر الجهل ويظهر الزنا وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون للخمسين امرأة القيم الواحد وفي حديث ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهلاء فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا اه واشراط الساعة هنا المراد بها الصغرى وهي الدلالة على خراب أمة من الامم أو قبيلة أو قرية . ولا ريب ان الزنا يقل النسل . وظهور الجهل من أشد العوامل في التخريب وارتفاع الاسافل بارتقاء المناصب بلا استحقاق يورث ضياع الامة . وقلة الرجال بالحروب وكثرة النساء داعيان لتغير الامة وزوالها كما حصل فى زماننا فقد قتل التعايشى الرجال حتى لم يبق الا العجائز والنساء فى كثير من

القبائل ولم تكن تجد لنحو خمسين امرأة الا شيخاً أو صبياً واحداً وهكذا اختلاط العشائر فهذا كله من امارات زوال الامة من الوجود كما عليه علماء العمران فى زماننا

﴿ الجوهرة السابعة والعشرون ﴾

(فصل)

وهناك عشرة خصال عمرانية تهذيبية تشترك فيها الافراد والامم وها كها

« الاول » بعث الشعور فى النفوس واعدادها للمعالى لتحس بنداء يخالط الوجدان من السماء يقول الله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) الثانى الاحساس بدوام الامة (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله) فشعور المرء بعلو مكانته اذ هو من أمة هي خير الامم وإحساسه بما لأمته من الدوام على مدى الازمان داعيان حثيثان الى الامل بالعمل وسمو النفس وشرفها والمسارعة الى اعدادها لمنصب سما قدره وعلا « الثالث » الثبات (وإن تصبروا وتتقوا

فان ذلك من عزم الامور) أى من الامور التى يعزم عليها
وكفاك قصة نوح وثباته وتاريخ ذي النون وعجلته وما كان من
مدح الاول الخ فهى جديرة بالاهتمام وكم فى الكتاب من آية
تمدح الصبر حتى قال (ان الله مع الصابرين) ولا ريب انه
الثبات على المبدأ « الرابع » التوكل وهو أشعار النفس بقوة
تخالط الوجدان وتشارك الروح وتمد العقل مع اندفاع
الاعضاء في تيار العمل وأشغالها في أعمالها التى غلب نفعها
كالزراعة والتجارة والصناعة والامارة ونبذ ما قل نفعه
ولم يعهد سبيلا للكسب والصحة كاولئك الذين يرقون الناس
بالرقي للتطبيب أو يكوونهم أو يتفاءلون تطيراً أو يزعمون
أوهاما فأولئك يحاسبون يوم القيامة كما ورد سبعون الفاً من
أمتي يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يكتوون ولا
يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون) ولقد جاء
فى خبر انه أعطى مع كل واحد من السبعين الفاً سبعين الفا
ومع كل واحد من كل هؤلاء سبعين الفاً فانظر كيف خص
الحساب بأولئك الاقوام الذين وقفوا أنفسهم في سبيل

الاعمال التي لم يغلب نفعها ورفع الحساب عمن حاسبوا أنفسهم
بالسير على النواميس التى وضعها والقوانين التى سنها «الخامس»
اللين والشدة هذا الخلق ظاهر من أخلاق النبوة ومن
الكتاب إذ مدح النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله فيه هو
وأصحابه (أشداء على الكفار رحماء بينهم) فإذن الشجاعة ركن
من أركان هذا الدين وناهيك السباق والرمي وانهما سنن
اسلامية بل انها فروض واجبة كفائية باجماع علماء الاسلام
بقوله تعالى (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) مع مزج هذا
باللين فى محله وفى التنزيل (ان ربك لشديد العقاب وانه لغفور
رحيم) وما من آية فيها شدة الا ومزجت باللين ولا ذكر
العقاب الا مقروناً بالثواب مشاكلة لفطرة العالم ونواميس
الكون وقانون الحياة كما جاء (وانك لعلى خلق عظيم)
السادس مراعاة الزمن فى الأحوال الدينوية مع الاعداء
فللنبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أطوار طور ابتداء الدعوة
ما كان ليظهر أمره . وإنما هي الحكمة في الدعوة والتبليغ
المسترسل حتى ان أصحابه هاجروا الى الحبشة وغيرها . ثم

هاجر هو وأصحابه الى المدينة . ولما كان أمر الحديبية كان أمر
الصلح بينه وبين أهل مكة عن رضا أن يرد كل من جاء اليه
مسلما منهم لهم . وان يردوا من ارتد عن الاسلام إن آووه
فرضي بذلك امتثالا للقضاء ومجاراة للوقت حتى إذا أمكنه
الله بعد سنتين اثنتين ظهر عليهم وانتشر الدين انتشاراً باهراً
«السابع» السلم فى العقائد لم يذم القرآن نبياً بل ورد فى الدين من
كذب نبياً كفر فأصبح لدينا موسى وعيسى وابراهيم وادريس
وغيرهم مصدقاً بنبواتهم ومتى سمعنا بنبوة أنبياء لم نعرفهم
جوزنا نبوتهم يقول تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم
من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) فذلك جمع
للكلمة باعظام أكابر الأمم الذين أشربت العامة والخاصة
حبهم فما كان للاسلام أن يكذب (برهمة) أو (بوذا) بل
يجوز نبوتهم ولا ريب أن ذلك أدعى لائتلاف الأمم وجمع
كلمتهم ولا أدري ديناً فى الارض يحترم عظماء الامم كهذا
الدين . يؤمن المسلم بعلماء العالم ولا يؤمن من قبله بدينه فهم
مشاكسون وهو مسالم محب ويعرض علوم الاوائل على

العقل فما وافق اتخذه وما خالف نبذه (فبشر عبادى الذين
يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله
وأولئك هم أولوا الالباب) وتراه عمد الى النظر فيها فأزال
مايضر بالعقائد وسمعة الأنبياء فنفى الصلب ونزه ذلك المقدس
عن الإهانة وأمه من الخنا ونبه من الألوهية بل جمله عبداً
صالحاً نبيا كسائر الانبياء وعمد الى مافى التوراة من أقاصيص
محرفة فصيغت صوغا ينفي عنها وضر الشرك ودنس الضلال
كوصف بعض الانبياء بالمحرمات . ووسم الرب فى تاريخ
آدم بسيمة ملك متجسس على قومه يحسد من يعلم علما كعلمه
بل يهاب من يخلد مثله مما يوصف به الملوك الذين قصرت
أنظارهم على الشهوات البهيمية وكم اتصف هذا الكتاب بأنه
مصدق لما بين يديه وهدى وموعظة للمتقين «الثامن» مجاراة
الامم التى سيطراً عليها أهل هذا الدين فى معاملاتهم واحترام
شعائرهم كمعابد النصارى واليهود واحترام أحبارهم ورهبانهم
واقرار عقودهم فى مناكحهم . وأحوالهم المعيشية واستأنس
بما فى قصة يوسف (قالوا) أى رجال فرعون لبني يعقوب

اذ كانوا بمصر (فما جزاؤه) أى السارق (ان كنتم كاذبين
قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي
الظالمين) فعاقب بني إسرائيل بقانونهم فى بلادهم « التاسع »
التدريج فى معاملات الامم فلا يقهرون بالسطوة ولا يكافون
الطفرة . اعتبر ذلك فى بيان ضرر الخمر أولا وما أيقظهم به من
قوله (يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع
للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) اذ أبان الضرر والنفع وكشف
وجه الحرمة باظهار وجهته اذ القضية التى جزمت بها العقول
ان ما غلب ضرره حرم تعاطيه ثم كيف حرمها في الصلاة
بقوله (لاتقربوا الصلاة وأنتم سكارى) ثم بت الحكم فيها وفى
الميسر فى قوله (يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون)
فهذا التدريج فى الدين عند نزوله داع حثيث الى التلطف مع
الرعايا . وأخذهم بسنة التدريج والنمو فى المعتقدات شيئاً فشيئاً
حتى يتم الامر ولا يهولنك ما ترى من دول سقطت برجالها
فانما ذلك بما شغلوا به من أباطيل ولم يكونوا مسلمين الا

بالاسم أو الرسم أو ببعض العبادات أو الاقوال . أما جوهر
الدين فهو منبوذ نبذاً « العاشر » مراعاة الامم فى جواهر
الاحكام . وناهيك ما ترى فى دية القتيل اذ جاء على عادة
العرب أن يؤخذ من الابل مائة على العاقلة في قتل الخطأ
وشبه العمد . وعلى القاتل فى العمد عند العفو . هذه جاءت
مطابقة لما عليه العرب في جاهليتها مع اعتدال فى النهج وهذا
باب واسع تدخل منه الأمة المتمدنة الى سن القوانين بما
يستقر عليه العرف والعادة وما يسمح به الزمن وما تقتضيه
الأيام والزمان والمكان وهذا هو القصد الاسمى من كون
هذا الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل للناس كافة بشيراً
ونذيراً . وجد الرجل يتزوج بلا حصر فارجعه الى أربع مالم
يخف من الجور ومتى خيف جوز منع التعدد . وللحكومات
أن تأخذ على يد الافراد بحسب ماترى من استعدادها (فان
خفتم ألا تعدلوا فواحدة) الآية . كان الرق سنة جاهلية
نخففه ثم أدخل العتق فى أحكام الدين وكم من أمر ديني كان
العتق أعظم أبوابه (وما أدراك ما العقبة فك رقبة) فلله ما

أرحم هـذا النبي فهو رحمة للبشر فمن هذا المنهج الوسط يجد رجال الامم ميدانا واسعاً فى معاملات الشعوب فى الشؤون المختلفة الدينية والدنيوية. وللعقول والعقلاء مجال. وهنا وقف جواد القلم فى ميدان البيان اذ المقام أجمال لاتفصيل وفي هذا الاجمال مقنع فى العمران

﴿ الركن الخامس العبادات ﴾

ذكرنا هذا الركن بعد سابقه لما بينهما من الاخوة والرابطة والصلة والرحم والصداقة فالعبادات البدنية المسماة أركان الاسلام خمس فى حديث (بني الاسلام على خمس شهادة أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا) فلهذه العبادات وجهان أولهما يعانق العمرانيات وثانيهما يترامى الى أطراف المادة ويطوح بالنفوس الى عالم القدس فأولهما اجتماع ونظام وحياة ورقى ونظام في مادة. وثانيهما عروج الروح وصفاء النفس وبهجة القلب وخلوص الى الرب ولقاء الله وأنس بأوليائه وفرح بأحبابه. فالأول شجر والثاني ثمر

والاول جسم. والثاني روح. والاول لفظه. والثاني معناه والأول صورة. والآخر حسنها وجمالها وبهاؤها ولئن سألت عنها نقول

الأول الكلام على شهادة أن لا إله إلا الله. أما توحيد الله فيها فقد قدمنا ذكره وأوضحناه بأنه اخلاص القلب اليه وتوجه الفؤاد نحوه. والوجه الثانى فيها تساوي الناس في الحقوق ونبذ الاختصاص وابعاد السدنة والكهنة وغيرهم واذ أوضحنا هذا فلنمسك القلم عن الايغال فيه اكتفاء بما حررناه سابقاً

﴿ اقامة الصلاة والحج ﴾

وجهه الاجتماعى ترى النبي صلى الله عليه وسلم يأمر الناس بالصلاة خاصة وعامة في خمس أوقات من النهار بعد طلوع الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء في أعمال مخصوصة وأقوال معقولة ودعوات ترجع الى أشعار القلب بعظمة الرب وتذكر الصالحين المصلحين والتسليم عليهم استحضاراً لهم واقتراباً بالقلب منهم. وليكونوا جماعات لهم إمام

يصلي بهم . هكذا كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم بحيث تكون الجماعات أمرها في كل وقت من الأوقات الخمس شائعاً في البلاد منتشراً وفضل في الحديث الجماعة على الفرد بسبع وعشرين درجة . وفي معني الحديث لقد هممت أن أحرق بيوت قوم لتركهم الجماعة ولم يكادوا يتركون تلك الجماعة أثناء الحرب . وورد في تفصيلها أثناء القتال في الميدان نحو ستة عشر كيفية بحيث لا يتركون الصلاة ولا جماعتها في وقت من الأوقات . ولاهل الاسلام عيدان في كل سنة يجتمع فيهما أهل البلدة ومن حولها يتعارفون ويتزاورون وليكن المكان (مصلى العيد) خاصاً به يسع المدينة والقرى حولها بالغين ما بلغوا ولهم اجتماع يوم الجمعة يجتمع فيه أهل رجال البلدة يقوم فيهم أميرهم خطيباً أو ملكهم أو ذو الرأي فيعظهم ويذكرهم بما جنوا ويعظهم بكتاب الله ولقد مسخ ذلك كله في هذا العهد وبقيت له صور شوهاء فهذه ثلاث اجتماعات اليوميه الخمسة . والاسبوعية الواحدة . والسنوية المرتان هذا . عدا مجامع السبق والرمي والولائم في الافراح . وما يماثلها من

كل ما ورد به الشرع . فاليومي لأهل المحله . والاسبوعي . لأهل القرية . والسنوي للبلد والقرى المجاورة لها . وهناك اجتماع للمسلمين كافة في مشارق الارض ومغاربها وهو الحج في بلد بين الشرق والغرب ملتقى الجهتين منعزل عن معترك السياسة يحجون اليه كل عام أي من قدر منهم في العمر ولو مرة واحدة تتذاكر فيه أهل الاسلام ما عليه دولهم واختراعها وأحوالها وحكامها ونظامها . فيرجعون مفيدين مستفيدين فهذه هي المراتب الاربع العمرانية . فأي أمة أتقنتها وحافظت على كيانها قويت دعامتها واتحدت وجهتها وصارت كدول العرب في أول نشأتها . وهذا الذي قدمناه عمل اجتماعي من هذا الوجه ينظم المدن ويديم الأمن ويؤمن السبل وينظم الممالك كما أوضحه الغزالي في الاحياء

﴿ الجوهرة الثامنة والعشرون ﴾

(الوجه الثاني في الصلاة والحج)

وهذه الاعمال في الصلاة والحج تعرج بالعبد الى درجات القرب . فالمرء باقباله على الله ومناجاته والاقبال عليه ووصفه بأنه

رحمن رحيم . وانه مرب العالم كله من انسان ونبات وحيوان تربية مشوبة بالرحمة يشعر فؤاده ما أبدع في العالم من الرحمة واللطف وكيف أعطي كل شئ خلقه برحمته مع التدريج في التربية ويتصور انه أمامه يناجيه فيقول إياك نعبد وإياك نستعين . ويدعوه فيقول أدعوك لتهديني صراط قوم عرفوا لا صراط من جهلوا السبل فضلوا يتخبطون أو سبيل من غضبت عليهم لعنادهم وعصيانهم فاذا تكرر الاستحضار أشرق على القلب نور . لا سيما اذا صلى ليلا والناس نيام . وهذه الصلاة اذا خلت من هذا التوجه لم تغن شيئاً فى أجر القرب من الله وانما ترجع الى اجتماع محض وحياة دنيوية . ومتى أخذ المصلى فى فهم معنى ما يقول من المناجاة دعته مناجاته الى التوغل فى العلوم والمبادرة الى اقتنائها من أى سبيل كما هى سبيلى التى اختطتها لنفسى من أول نشأتى . وهكذا الحج فاذا حج المرء وهو غافل نال درجة الاسلام فحسب . وهو الانقياد الظاهري وهو لا يفيد غير النظام الاجتماعي وحفظ كيان الملة باعتبارها اسلامية وليس له فى الآخرة ولا فى العقل

أدنى نصيب . فاذا عرف مقصد الحج وانه قد خرج من أصحابه واخوانه وأهله وولده وماله طائعاً لله قاصداً مكاناً جعله الله شعائره وهاجرله فاذا وقف بعرفات والشمس فوق الرؤس ذكر في نفسه والجمع حوله أن الله يجمع الناس للحساب كما جمعهم للحج . وانه سيخرج من الدنيا كما خرج من أكثر ما أحبه وانه سيجرد منها كما جرد من المخيط من الثياب وهكذا فيرجع الحاج بعد التحقق من تلك المعانى كيوم ولدته أمه . ولا معنى لهذا لا أن نفسه انقطعت الى الله ومالت اليه عما تذكرته بعد تهذيبها بمشاق السفر والنصب فأقلعت عن الذنوب حتى لا ترجع . وما عدا هذا فهو حج ذو وجه واحد لا وجهين .

﴿ الجوهرة التاسعة والعشرون ﴾

(في الزكاة)

وأعجب شيء في هذه الشريعة الزكاة فترى الحكومات الشرقية والغربية تفرض على الناس مغارم فيدفعونها ومنهم قوم يعطونها وهم لها كارهون . ففرضت الزكاة في الزرع

والذهب والكنوز والفضة والتجاره بتفصيل ليس هذا محله حتى ان من لديه شئ من هـذا يجتهد في تقديمه للعامل الذي ينصبه الحاكم تقرباً الى الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم « صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم » فجعلها صدقة وسماها زكاة أي طهارة فلها وجه عمراني . وهو أن كل غنى يلزم بدفع جزء من تجارته كل سنة وهو ربع العشر يعطي للفقراء والمساكين والعاملين والقوم الذين نريد تأليفهم لنا ومن عليهم ديون وعلى الجيوش فى الحرب وعلى المسافرين ولا نطيل به . فقد ذكره العلماء في الفروع فأدخلوا فرع العمران من الهندسة والطب وغيرها من المنافع العامة فى ذلك هذا وجه عمرانى . فبذلك تضمحل الاحزاب المتربصة للشر بالاغنياء اذ وجه حقدهم منبوذ . أما وجهة الشخص وقربه من الله فاعلم أن النفس مجبولة على البخل فجاء هذا الدين داعياً حثيثاً الى اخراج هذا الجزء من المال صدقة ظاهره الاحسان للفقراء ونظام المدنية وباطنه تطهير النفوس من رذيلة البخل . وفتح باب صنة الكرم التى أولها الزكاة . ووسطها الصدقات

ونهايتها تعميم الخيرات في الاعمال النافعة . وبناء المدارس والربط . ومساعدة الجمعيات والحكومات في أعمالها النافعة مع اكرام الضيف ومواساة الاغنياء والاصدقاء . وقطع السنة الذامين من السفلة كل هـذا تقويم حتى لا تتقيد النفس بحب المال الموجب للتعلق بالمادة في الحياة الدنيا فتخلص الروح لمبدعها وقد فرغت مما ألم بها من الغواشي الطبيعية

﴿ الجوهرة الثلاثون ﴾

(الصيام)

يلي الصيام الزكاة وهو صيام شهر تعويد النفس على الاحساس بما يقاسيه الفقير من الآلام فى فقره حتى يواسيه وهذا وجهه الاجتماعي مع التعود على العفة ثم عروج الروح بخلو الجوف الى عالمها بما نالت من الرياضة بترك الطعام والشراب مدة النهار حتى تجلى في عالمها وتبتهج بصفائها وترفل في حلل كمالها وهذا وجهه الروحانى الديني اهـ والى هنا وقف بنا جواد القلم في قسم العبادات ونحن الآن شارعون في قسم المعاملات والحدود والاحكام

القسم السادس

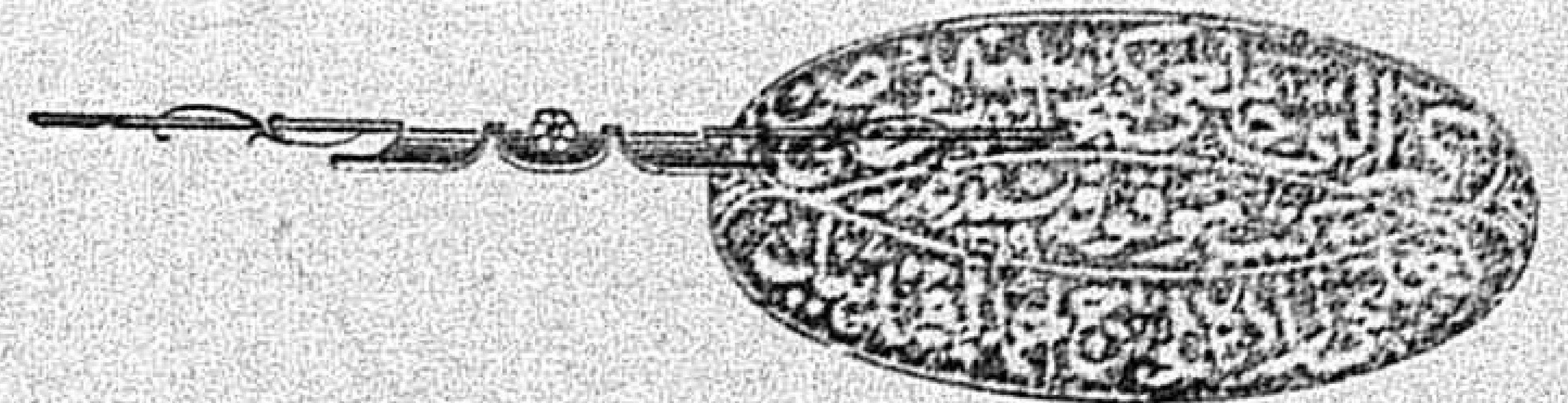
الجوهرة الاحدى والثلاثون

(المعاملات والاحكام والحدود والتعاذير)

هذا القسم فى الاسلام خاص بنظام المدن ثم يقول العلماء رحمهم الله ان الانسان يجرى فى سبيل أوله الولادة جادّته الحياة مراحله السنون . نهايته الموت . غايته لقاء الله تعالى دابته البدن وبقاء شخصه بالغذاء وبقاء نسله بالزواج فرجع أمر الحياة جميعها الى ركنين المال والتزاوج . فهذا القسم الاخير في الدين الاسلامي أقل الاقسام ورودا في الآيات القرآنية وأكثرها عناية لدى العلماء . تراه هو والعبادات قد صنفها العلماء فى علم الفقه فكم زاولوا من أحكام وقوانين ليسوسوا الناس ويضبطوا المدن ويقيموا العدل والقسط فى الأمم التي يحكمونها ويدبرون شؤونها ولعمري أن نظام القضايا أمر دنيوى يرجع الى الدين بغايته . فالمرء في الحياة لابد من بقاء شخصه بالغذاء ونسله بالتزاوج . وبعد ذلك يهذب نفسه

ويغذى روحه بأنوار العلوم والعرفان . ويروض روحه على العروج الى مبدع العالم بأنواع العبادات مع الملاحظة والفكر والفهم والتأمل . وترى علماءنا اذا اضطرت لذلك وجهوا الهمم اليه في غالب العصور لما رأوا من احتياج العالم اليه في نظام المدن وغلب على ظن كثير ان اتقانه وحده موجب لسعادة الآخرة كلا ثم كلا الا إنما ذلك سعادة الدنيا بل شرط من شروط سعادتها . أما الآخرة فرجعها الفكر فيه والبصائر الوقادة والعقول النافعة عقول تهذبت واستنارت وفكرت في العالم ونظامه وعرجت الى الخالق بصفائها . وعليه فأرقى الأقسام الست وأعلاها وأجلها وأبهاها وأغلاها وأولها وآخرها قسم العلوم الكونية الذى صدرنا به مباحثنا في كتابنا . ألا ترى أن الكتاب الكريم كرره مراراً وتابعه تكراراً ولعمرك لن ينتظم أمر الغذاء والسعادة فى الحياة الا بأنسامه وعلومه . ولن يحلى الفكر بأنوار المعارف الا بجماله وضيائه ويليه اهتماماً ما ينبذ البدعة فقسم السياسات فالآداب فالعبادات . وأما قسم المعاملات فانما يراد كدواء وشفاء للسقام

اذ العلوم العقلية من الامم منزلة منزلة الغذاء والاحكام الشرعية منزلة منزلة الدواء وهل تري أحكام الميراث والهبة والبيع وغيرها الا للمنازعة والخصومة فى الاموال . فصل العلماء أحكام البيوع والربا والقرض والهبة والاجارة والعارية وأحكام اللقطة والميراث والوصايا وأحكامها والوقف والعقود والدعاوى وفصل الخصومات وأحكام القضاة وتوليتهم وشروطها والعقوبات والسرقة والغصب وهذا للمال . وأما للنسب فحد الزنا واللواط . وأحكام الزواج والطلاق والخلع والظهار والملاعنه . وقد تجمع الأقسام النظامية فى خمس كلمات حفظ الدين بقتل المرتد . والعقل بحد الخمر . والنسب بحد الزنا والمال بحد السرقة . والنفس والاعضاء بالقصاص . وهذه الحدود أخص ما جاء به الاسلام من العقاب فى الدنيا وهناك عقوبات أخرى لقطاع الطريق بالنفي . أو قطع الايدى والارجل وحد القاذف ثمانون جلدة



﴿ الجوهرة الثانية والثلاثون ﴾

(الشرع ميزان)

اعلم ان عقوبات هذا الدين على قسمين أحدهما الحدود كقتل المرتد لحفظ كيان الأمة من تفريق الجامعة بشروط مخصوصة كثيرة ورجم الزانى المحصن وجلد البكر ونفيه من البلاد سنة . وحد شارب الخمر أربعون جلدة بالضرب بالسياط وقتل القاتل وقطع عضو بقطع عضو آخر نظير ما صنع . وقطع يد السارق وهكذا « الثاني » التعاذير كالحبس والتغريب والضرب والتوبيخ والاعراض فى كل ما كان حراما ولم يرد فيه حد وهو تابع لاجتهاد القاضي ورأيه وفراسته متنوعاً تنوع أصناف الناس فى درجاتهم وأخلاقهم وعوائدهم من الاشراف أو الاوساط أو السوقة . هذا ما قرأناه في بعض المذاهب كالشافعي . وترى أبا حنيفة يرجع الى رأى القاضي أكثر ويمنحه أوسع . حتى انك لتراه يبيح القتل في التعذير . فلو شهر انسان سيفاً على الناس جاز قتله . ولو اتضح للحاكم وثبت ان رجلا يؤذى الناس جاز قتله سياسة

﴿ الجوهرة الثالثة والثلاثون ﴾

(مقصود الشرع ودرجات الامم فى العلم)

ورد فى السنة قوله صلى الله عليه وسلم «ادرأوا الحدود بالشبهات» وقوله تعالى (والسماء رفعها ووضع الميزان ألا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) ترى الحدود والتعاذير وردت عن الشارع فى الاول تحديداً وفى الثانى اجتهاداً من القاضي وترى الحدود حددت غاية العقوبات والتعاذير أدنى فأدنى وقد أرشد الله عباده الى التيقظ والسهر والتشمير والجد بالاحصائيات ومراعاة درجات الأمم ووزنها بميزان العقل وتقديرها وان يكيلو للأمم كيلا ويزنوا لهم وزنا فى الحقوق والقوانين حسبما يناسب حالهم ناظرين الى سنن الشرع جائمين حوله مع أخذ رأي نواب الأمة في ذلك. ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم «لا تجتمع أمتي على ضلالة» وهذا أصل من أصول الحياة الاجتماعية وأنت لو تأملت كتب الأمم المتعاقبة أجيالها المتتابعة أصنافاً أمة بعد أمة وجيلا بعد جيل فى أماكن مختلفة من ترك وفرس وهند وصين واسيويين

ومصريين وغيرهم لرأيتهم سلكوا مناهج تناسب استعدادهم وتوافق مشاربهم (قد علم كل أناس مشربهم) ولن تفهم الأمة الجاهلة ما تفهمه العالمة وناهيك أهل البرابرة بالمغرب اعتنقوا مذهب الامام مالك رضى الله عنه . وهو أقرب الى الفطرة وأبعد عن التأويل لم تتناوله الحضارة ولم تصهره مراجل المدنية كما صهرت منهج أبى حنيفة بالعراق اذ ثم ملوك العباسيين ومن خلفهم من أمم الترك السلجوقيين وبني عثمان وغيرهم فأولئك دون علماؤهم ما احتملته عقولهم من الفروع والاحكام وهكذا ترى أن الامم الحية اذا اعتنقت هذا الدين كانت أبعد نظراً وأسمى فكراً وأسرع خاطراً من أمة رسخت فى البداوة ولم تصهرها نار المدنية

﴿ الجوهرة الرابعة والثلاثون ﴾

(العقل والشرع)

لا غنى للعقل عن الشرع ولا للشرع عن العقل . ومما تقدم علمت ان القوانين العامة فى الاسلام نورها الدين سياجها العقل صاحبها الفهم غايتها العدل يقول صلى الله عليه

وسلم «ادرأوا الحدود بالشبهات» وهذه قاعدة عجيبة مختصرة فتحت لواضع القانون بابا من العلم. ألا ترى انه جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال زنيت يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لعلك لمست فقال الرجل زنيت يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم لعلك قبلت فقال زنيت يارسول الله وهكذا وكان صلى الله عليه وسلم فى كل مرة يستدير يميناً ويساراً واماما وخلفاً امام الرجل فلما أصروا الا أن يقر أمر به فرجم وأخبر أنه دخل الجنة . وترى الفقهاء في الفروع ينصون على أن شبهة وأن قلت تدفع الحدود ويرجع للتعاذير بل مجرد الانكار فى السرقة والزنا يدرؤهما واثبات لزنا أمر يستحيل الا بالاقرار والسرقة تثبت ولكن القطع فيها عسر لانه يحتاج لنفي الشبهة ولو قال ان لى فيما سرقت جزءا وأن عليه حقاً أو نحو ذلك سقط القطع وبقي التعذير . هذه القاعدة أشبهت فى شكلها قاعدة الشفعة عند القاضي الاهلى فيتبدل القتل بالاشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة وهذا الحديث يدرأ الحد ويثبت التعذير وللأمة ان تقرر في مجالسها الشورية ما يناسب

استعداد الامة انحطاطاً وارتفاعا وهاهو أمامها أقصى عقوبة فلتجعلها نهاية القسوة عند الحاجة ولها ان تزن عقوباتها بأحوالها. ولتكن هذه شبهة كما جاء في التنزيل (أن في ذلك لآيات للمتوسمين) (أن لا تطغوا في الميزان) وأرسل صلى الله عليه وسلم معاذا الى اليمن فقال يا معاذ كيف تقضي فقال أنظر في كتاب الله تعالى . قال فان لم تجد قال فبسنة رسوله قال فان لم تجد ما أردت فى سنة رسوله . قال الفهم يا رسول الله وهذا معني ماورد فجعل للفهم مقاماً ولعلك تقول انما يفهم من مضى وقد سد الباب ولم يبق من ذوى العلم من يتسنى له الفهم ومجتهد والا عصر الاولى يغنون عمن بعدهم قلت ذلك لم يرد فى النقل ولا يسلمه العقل بل ورد أن بعض من يبلغه خير ممن سمع فعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فى رواية البخارى قال (فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا) وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض الا ليبلغ

الشاهد منكم الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى من بعض من سمعه الا هل بلغت الاهل بلغت اه . وهذه الحجة آخر سنة من سنى حياته صلى الله عليه وسلم . وفي هذا دليل على أن الأمم المتأخرة لها أن تنظر وان نظرها ربما كان أدق . والقاعدة التى قررناها ضابطة شاملة . وهي أن الدين قواعد كلية تتنزل من الامم على قدر عقولهم ومنزلتهم من الفهم فلن يغنى متقدم عن متأخر ولا متأخر عن متقدم . ولذلك نرى كثيراً من نصوصه كالآيات والاحاديث متعارضة متشاكسة . فمن نظر اليها بحسب مايتجلى منها أول أمرها بانت مستصعبة قد تضله عن الدين وتزيغه وتوقعه فى الشك والأثم . ولكن العقول الراجحة والقلوب الواعية والنفوس الراقية والأذهان الزكية تفصل المعاني تفصيلا وتورد لكل آية تأويلا وكم من رجل ضل وكفر اذ عبس وبسر بعد ان نظر نظرة أفقية . وما مثل الدين الا كمثل الماء ينزل من السماء ويحيي الأرض قطره ويجللها مزنه فتكون منها الصخرية واليابسة والرملية والسبخة والجيدة النبت وهي الخندج كما

ورد في حديث البخارى عن ابن موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (مثل مابعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلاء والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وأصاب منها طائفة أخري إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلا . فذلك مثل من فقه فى دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به اه . وهذا بلاريب ظاهر فى الامم واختلافها في الفهم والتعقل على قدر ما وهبها الله من القوى والعقول وجاء في حديث (أمتى كالمطر لايدرى أولها خير أم آخرها) وهذا إنما يكون بالتعقل والفهم وفي قصة سليمان وداود عليهما السلام غنى لطالب الحكمة فى هذا المعنى ذلك انه ادعى صاحب حقل على رب غنم انها أهلكت حرث حقله فقضى داود بتسليمه الغنم جمعاء ملكا . وقضى سليمان بأن يعطى الغنم ينتفع بدرها ونسلها ويحرث الأرض رب الغنم ويزرعها حتى يبلغ

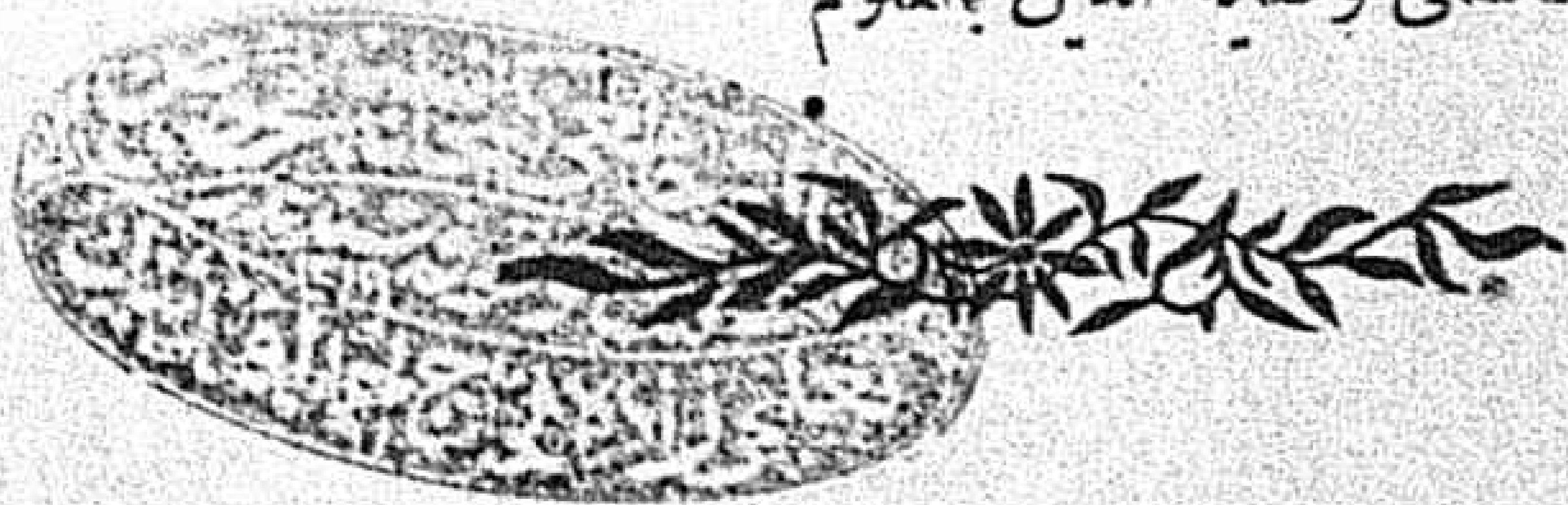
الزرع مبلغه اذ أفسدته الغنم . ثم يأخذ رب الغنم غنمه . فكان قضاء صادف محله ووافق المحز ولم يعب على أحدهما بل كلاهما يسمى ذا فهم وجاء فى هذا المعني قوله تعالى (وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلما) فمدح سليمان بالفهم وأثنى على كليهما بالعلم والحكمة . ومقصودنا من هذا القول أجمعه أن الأمم التى تنظر في هذا الدين ينبغي أن تلاحظ استعدادها وادراكها وتفهم الكتاب والسنه وتراجع كلام الأئمة وتجتهد لنفسها هى وان هذا لا يعد مساساً لحقوق الأوائل فلكل حال مقتضى وعمل يناسبها والقاعدة العامة واحدة . وورد انه لما نزل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) أشار صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسي وقال هم قوم هذا وقد اعتاد دين الاسلام أن تحمله أمة بعد أمة . حملته العرب وأوصلته الى الفرس وحملوه فلما ضعفت الدولتان ظهر التتار وحملوه فنشروه فى الهند والصين

انتشاراً أوسع . وفي هذا المقدار مقنع لمقتنع . والي هنا وقف جواد القلم عن الجري فى ميدان الحدود والاحكام في هذا الاجمال . هذا اجمال قواعد الاسلام الست التى وعدنا بالاجمال فيها واكتفينا بهذا القدر وسنشرع الآن بعون الله تعالي وتوفيقه فى تفصيل الاقسام على ترتيب الاجمال . ولنوجه العناية الى قسم العلوم والعمران والآداب اذ هي التى يعوزها الاطناب

﴿ تفصيل مقامات الاسلام ﴾

(القسم الاول العلوم)

قبل الكلام على هذا القسم نورد ثمانية مباحث (الاول) الدين والعقل (الثانى) الدين والطبع (الثالث) خوارق العادات (الرابع) من أخذ العلوم من الدين بدون فكر (الخامس) الغلو في الدين (السادس) وجوب العلوم العقلية على الامة لا يكلف الله نفساً الا وسعها (السابع) الصناعات (الثامن) الوجوب الكفائى وعناية الدين بالعلوم



﴿ الجوهرة الخامسة والثلاثون ﴾

(الاول الدين والعقل)

أورد الغزالي في كتاب أحياء العلوم . جملا في الدين والعلم وان العلوم العقلية تجرى من الامم مجرى الغذاء . والعلوم النقلية مجرى الدواء . ومتى عكفت الأمة على الدواء ولم تفكر في الغذاء اضمحلت أجسامها وهزلت أبدانها ومرضت أرواحها وانحرفت أمزجتها ودنت من الزوال وساء الحال فلا غنى للدين عن العقل وعليه فالعلوم الطبيعية جمعاء من طب وتشريح وطبيعه وكيمياء . وعلم النبات والحيوان والانسان وكذا علم الاجتماع ضرورية للعمران واجبة على الانسان وأى أمة أقامت الحدود والاحكام وجهلت موارد الرزق ساء مصيرها . وكيف تقيم الحدود على معدوم والناس إذا لم يزاولوا هذه العلوم فلا حياة لهم واذا لم تكن حياة فعلى من تقام الحدود . وكما وجبت العقليات في الاحوال العامة للناس فهكذا فلتكن للمرء في نفسه . الا أننا تارة نجد نفوسنا تطمح في الشدة والغلظة وتارة للين والرقة وربما تجاوزنا الحد في أحد الطرفين

وكانت تلك العظات والحكم الواردة في كل منهما مرشداً قوياً وناصحاً أميناً ومداوياً للعلة والسقم الروحي . وكما أن العضو اذا اشتدت عليه الحرارة وزاد سقمه عالجناه بالبارد . وان مرض بالبرودة عالجناه بالحار فأصلحناه . ولن تعرف الحرارة من البرودة الا بالعقل والتمييز . وبعد ذلك نعالجه بضد ما سقم به العضو فهكذا نفعل بأخلاقنا ونداوى نفوسنا . فاذا مالت الى أحد الطرفين أرجعناها الى الاعتدال بنصائح الدين فاذا طغت نفوسنا بالأموال وشرهت وقست القلوب وحرصت على المطامع الشهوانية ومدت الأعين الى زينة الحياة الدنيا قرأنا قوله تعالى (المال والبنون زينة الحياة الدنيا) وان كرهنا المال وابتعدنا عن الاعمال ووقعنا في الأهمال وتباطأنا عن المنافع روينا قوله صلى الله عليه وسلم « لا حسد الا في اثنتين رجل أتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس ورجل أتاه الله مالا فسلط على نفقته في الخير » وان بخلنا قرأنا قوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وان بذرنا قرأنا قوله تعال (ولا تبذر تبذيراً ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين

وكان الشيطان لربه كفورا) فبهذا نفهم أن مافى الدين أدوية لا أغذية والعقل هو الغذاء والدين هو الدواء وفرق بين العقاقير الطبية وبين الأغذية التي بها قوام الأبدان ولاريب أن الاغذية تتعاضد على اقامة الصحة في الجسد وأما الادوية فتضاد أفعالها ورب دواء يصلح الجسد ويزيل المرض وآخر يبيد المريض في يوم أو بعض يوم

﴿ الجوهرة السادسة والثلاثون ﴾

(الثاني الدين والطبع)

طباع الناس ميالة الى اللذائذ والشهوات منقادة بالطبع مقهورة لها مسخرة كأنها لها عابدة فتراها ميالة الى اللذات البدنية من المآكل والمشارب والملابس والتزاوج والأبنية والمفاخر والزينة والذهب والفضة والخيل المسومة واقتناء الأنعام والحرث والنسل وهذا الميل ضروري للحياة ولولاه لخلا وجه الكرة الأرضية من ساكنيه وبادوا ولكن عادة الانسان أن يتغالى فى شهواته ويمعن فى لذاته فجاءت الشرائع لتضاد الطباع النهمة وتهاجم وحوش النفوس الكاسرة فتجد

بهم الى الطرف الآخر جهد الاستطاعة . عشق الناس المال وأفرطوا فى عشقه فجاء ذمه مراراً وذكر تكراراً وما القصد من ذلك الذم تركه . وإلا ضاعت الحكمة وإنما القصد الحقيقي من الذم انفاقه فى مواضعه وإتلافه فيما خلق له . ولم يكن المرام من ذلك الذم الا تهوينه على النفس ليصرف في المصالح العامة لا نبذه ظهريا . فالطبع فى طرف والدين فى طرف . فيعتدل الانسان فى الوسط ولا ريب ان الاخلاق أوساط واذا وجدنا من ترك السعي على المال مراعاة لذم الكتاب زجرناه وأمرناه بجمعه ومدحناه وزيناه له حتى يعتدل . وعلى هذه القاعدة سنجرى في كتابنا إذ رأينا الأمة الآن لاتعير العلوم جانب الالتفات لظنها براءة الدين منها فلهذا ندحض حجة المنكرين ونبين وجوبها للمفكرين

﴿ الجوهره السابعة والثلاثون ﴾

(الثالث خوارق العادات مع الدين)

جرت عادة الديانات أن تؤسس على خوارق العادات وتبني على أساس يأبى أن يتوازر مع العلم أو يتآخي مع الفلسفة

فيكون العلم مع الدين فى شقاق بعيد. وترى القرآن الشريف رغماً عما عليه عامة المسلمين صرح بمقصده فقال (ومامنعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات الا تخويفاً واذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيرا فذكر أن مسألة الاسراء ورؤية بيت المقدس ليلاً وأخباره عنه وهو لم يره قط وهكذا ماقرره في مقام آخر من ذكره شجرة ملعونة وهي شجرة الزقوم فآمن قوم وكفر قوم فهذا كله إنما هو تخويف وارهاب فما ازداد السابقون الا طغياناً وكفرا . وذلك بعد أن مضت قرون وذهبت أمم وأجيال كذبوا اذ خوفوا كثمود أرهبوا بعجائب الناقة ذات اللبن الغزير تسق عشائرهم فعقرها قدار بن سالف فأهلكهم الله فخوارق العادات لا تؤسس أمة ولاتبني مجداً فكانت دعامة هذا الدين الحجج الدامغه والبراهين العقلية ودراسة العلوم على اختلاف أشكالها. فكأنه يقول كنا نرسل

بخوارق العادات اذ كانت الأمم أطفالا والاجيال جهالا فنخوفهم ونزعجهم بغرائبها . فما زادهم ذلك التخويف الا كفراناً ولا أرهقهم الا جهلا . ومثل خوارق العادات مثل العصا يزعج بها الصبيان وهم يتعلمون لا يدركون النافع والضار ولا الخبيث من الطيب. وهكذا كان شأن الامم السابقين والاجيال السالفين أخفناهم ببعض الغرائب لما جهلوا . ومع ذلك لم يكن لها حظ من تقويم النفوس واصلاح الشؤون الا بمقدار مايتعظ الصبيان بالعصا وتزول البغتة المباغتة والهجمة المزعجة وتؤوب العقول الى الرؤس. وما مثل تلك الخوارق الا كضاغط ثقيل على الهواء لا يثبت أن يتمدد اذا كشف عنه غطاؤه ويأخذ شكله الطبيعي فهكذا عقول الامم الجاهلة صبيان الامم نرسل عليهم الآيات فتضغط على العقول ضغط اليد على الهواء فى قربة فاذا نوسيت تلك المعجزة زال الايمان بزوالها. فاما الامم التى تعقل ما يلقى اليها فايمانها بالقاء المعارف والعلوم وتعليمها التفكر والتبصر والتعقل كما أنزلنا عليك القرآن لهذه الامة لينظروا فى العلوم ويتفكروا فى خلق السموات والارض

لم تزل خرق العادات عصيا تفزع تلك الاجيال البائدة كل حين فأبدلناها بما يصقل العقول آنا فآنا في هـذه الامة اذ دينها يستقبل العلوم بوجـه باش وصـدر رحب وستتابع بعده الاكتشافات كما قال تعالى (سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وقال في آية أخرى (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان اتبع الا ما يوحي الي قل هـل يستوي الاعمى والبصير أفلا تتفكرون) فهنا يقول ليس أمر الله بيدي حتى أتصرف في خزائنه ولا علم عندي فأخبر بالغيب ولست من الملائكة المجردين عن المادة وغاية مالدي اني أنبئكم بما يوحى الي وقصارى أمركم انكم «قسمان» عاقل وغير عاقل فمن عقل وفهم ماالقيته اليكم فقد اهتدى ومن ضل فما أصنع له. أجهلتم فلم تتفكروا لقد سأله أهل مكة مرة يقولون ان كنت نبيا فلتدع ربك يفجر لنا أرض مكة ينابيع وانر فيها بساتين ذات أشجار وأثمار وأنهاراً أو تتساقط السماء قطعاً علينا أو نرى ربك وملائكته عياناً أو نرى لك بيتاً مشيداً وقصراً من ذهب أو نراك تصعد في

السماء ثم تأتي بكتاب من عنده نقرؤه فقال (سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولا) كما قال في الآية السابقة ليس عنده خزائن الله ولا يعلم الغيب وليس من الملائكة فلم يبق الا انه رسول من عند الله يبلغكم مايقول وأنتم فيه تتفكرون فحجته الدامغة هي التعقل. وهذا لاينافي أن خوارق العادات جاءت على يديه ولم يكن يقصد به الاعجاز وحده. وانما معجزته الحقيقية القرآن والتفكر فيه كما قال في آية أخرى (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون ولو اننا أنزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) والمقصود ان خوارق العادات اذا جاءت لاتفيد الفائدة المطلوبة وتقلب القلوب والافئدة كانها لم تؤمن بل لو رأوا الملائكة وكلمهم الاموات من القبور لم يفدهم ذلك فائدة. ويبقون جاهلين وأبان ان المدار على الفهم في القرآن الذى نص عليه في آية

أخرى قال (أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) وقال في آية أخرى (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون) فهو يقول ان المصائب والآلام تحيق بي والمكروه يسوءني فلو علمت الغيب لاحترست من مزعجات الليالي أو توقيت منها وما أنا الا مبشر ومنذر لمن يصدقون بعقولهم وكفى هذا شرحا لحال الرسول صلى الله عليه وسلم ومبيناً حاله ايما تبيان واذن لا يهولنك ماروى عن أنس انه صلى الله عليه وسلم مر على قوم يلقحون النخل أي يضعون الطلع الذي في ذكرانه في أناثه فقال صلى الله عليه وسلم «لو لم تفعلوا لصلح» فتركوه فخرج شيصاً فمر بهم فقال ما لنخلكم قالوا قلت كذا وكذا قال أنتم أعلم بدنياكم وفي رواية مسلم قال «إنما أنا بشر اذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به واذا أمرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر» وفي رواية أخري «ان كان ينفعهم ذلك فليصنعوا فاني ظننت ظناً فلا تؤاخذوني بالظن ولكن اذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به

فاني لن أكذب على الله عز وجل» ومن هذا تعلم حال هذا الدين ان مداره على العقل والعلم والفكر. ولذلك سيرد عليك نحو ٧٠٠ آية في العلوم. وليس في العبادات والمعاملات والحدود أكثر من ١٥٠ آية اشارة الى القصد الاول منه

﴿ الجوهرة الثامنة والثلاثون ﴾

(الرابع من أخذ العلوم من الدين بدون فكر)

من أخذ العلوم من الدين بدون فكر فهو غر جاهل قال الغزالي في الاحياء في الجزء الرابع في باب الشكر فان قلت قد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم. وقد ذم الله تعالى المال والجاه. وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال الله تعالى (ان من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) وقال عز وجل (إنما أولادكم وأولادكم فتنة) وقال على كرم الله وجهه في ذم النسب. الناس أبناء ما يحسنون وقيمة المرء ما يحسنه. وقيل المرء بنفسه لا بابيه فما معنى كونها مذمومة شرعا. فاعلم ان من يأخذ العلوم من الالفاظ المنقولة المؤولة والعموميات المخصصة كان الضلال

عليه أغلب مالم يهتد بنور الله تعالى الى ادراك العلوم على ماهى عليه ثم يترك النقل على وفق ماظهر له منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى . فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لا سبيل الى جحدها الآن فيها فتناً ومخاوف الى آخر ماقاله من تمثيله المال بالحية ومنافع الدين بالترياق وغرور الدنيا وشهواتها بالسم والعلماء والأنبياء والحكماء بالرجل المعزم . والناس كلهم يجهلون الترياق الا المعزم فانه قادر فيجب ابتعادهم عن المال كما يبتعدون عن الحية وهكذا شبهه بالبحر والشهوات بالتمساح ومنافع الدين بالجواهر أسفل الماء والأنبياء والعلماء غواصون والناس جميعاً لا يغوصون فلن يقدر على استخلاص الجواهر الا ذو الدراية . هذا ملخص ما أطال به فى هذا المقام والذي نحتاج اليه فيه ما أظهره رحمه الله تعالى من أن المدار فى العلوم على العقل والبرهان والتحقق وأما ظواهر الآيات فلها أغراض تناسب الجمهور والخواص يحتاجون لدقة حتى ينالوا حظاً منها

﴿ الجوهرة التاسعة والثلاثون ﴾

(الخامس الغلو فى الدين)

الغلو فى الدين ممقوت قال الله تعالى (يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الي مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض) نهي عن الغلو في الدين فلا نرفع الرسل الي درجة الالوهية ولا نسمهم بالعصيان بل يبقون في درجة تناسب التبليغ وهكذا الاولياء والصالحون نعتقد فيهم أن لهم عند الله زلفى بقدر ما عملوا ولن ينفعوا ولن يضروا الا باتباعهم ومخالفتهم وإنما هم قدوة فلنجتهد فى تقليدهم ونسارع الى الخيرات فتعظيم القبور والتغالى فيها ونحو ذلك كله غلو فى الدين ورجوع الي الوثنية



﴿ الجوهرة الاربعون ﴾

(السادس والسابع وجوب العلوم العقلية على الامة والصناعات)

بناء على ما سمعت من المقدمات وما فهمت من المقاصد تري أن العلوم العقلية من حكمة وطبيعة وفلك واجبة على الأمة . فاذا نبذتها عذبها الله مرتين مرة في الآخرة ومرة في الدنيا بنقص المال والأنفس والثمرات . فنقص المال بذهاب العلوم الطبيعية المعينة على اقتنائه كالزراعة والبيطرة وعلم المعادن والتجارة والحياكة وآلات السقي والطحن والخبز وآلات الحرث والبناء وهكذا . ونقص الأنفس بجهل الطب ونقص الثمرات بترك جميع العلوم حتى الفلك ويرشدك الى وجوبه قوله تعالى (أو لم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شئ وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون) كأنه يقول اذا تركتم النظر فلا علوم وإذا لم يكن علم ذهبت دولتكم وقامت قيامتكم (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وقال (قل انظروا ماذا في السموات والارض) وهذا كما يقول

الرجل لمن يعلمه انظر الذى أمامك وافتح عينيك تحريضاً له على الانتفاع منه والعلم بما فيه . والآيات فى وجوب النظر فى جميع العلوم كثيرة فلا نطيل باعادتها بل سيأتى قريباً ما وعدناك به منها وقال صلى الله عليه وسلم « اطلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » فاعلم ان وجوبه يختلف باختلاف الازمنة والامكنة كما أوضحه الغزالي فى الاحياء . وهو يدور مع الحاجة وجوداً وعدما . فما احتاج اليه جميع الافراد وجب عليهم وجوبا عاما . وما احتاج له المجموع وجب على افراد من الامة يقدرون على القيام بأمره . وجبت الصلاة على كل عاقل ليذكر الله فى الاوقات الخمس حتى يرى في نفسه نزوعا الى خالقه ويكون زاداً للمعاد . وأما وجوب الزكاة فعلى من لديه المال فيتعلم من الزكاة بمقدار ما أوتي من المال المزكى ويعلم من الصيام ما تعم الحاجة اليه . واذا وجب عليه الحج وجبت عليه معرفته . ولما انتشرت المدنية وعمت الحضارة وجب على كل مسلم ومسلمة أن يتعلم قليلا من القراءة والكتابة وأول آية نزلت قولة تعالى (اقرأ بسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ

وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالا يعلم) فاول ما قرع سمع النبي صلى الله عليه وسلم العلم والقلم وفى سورة أخري (ن والقلم وما يسطرون) فاقسم بالقلم تعليما لأمته وفتحاً لباب التعلم بالقلم الذى صار أول شرط من شروط الحياة وكما يجب على العامة أن يتعلموا فن الكتابة يجب أن يعرفوا ماحولهم من الكائنات المسمي فن الاشياء . ولا ريب ان الاشياء هي مبادئ العلوم كلها فلا علم الا وله مباد فيها كالنجوم والنبات والحيوان . واذا تأملت الآيات التي سنوردها تجدها أشياء مما يحيط بالانسان بأسلوب جميل يشوق القارئ

وفى كل أمة أفراد امتازوا بقدرة فى المال وقوة في العقل والفهم وميل الى فن أو فنون من طبيعة أو غيرها وهؤلاء يجب عليهم باعيانهم التوسع فى تلك العلوم حتى يفيدوا أمتهم بها . وهذا هو الواجب الكفائي . وعلى الحكومات الزام عدد من الأمة كاف لتخريج أناس منهم لحفظ العلوم ودرسها ونشرها من رياضة أو طبيعة أو فلك أو حكمة فان قصر العامة أو الخاصة أو غفلت الحكومة عن حفظ الموازنة ضاعت الأمة

وحق عليها القول ومما يستأنس به للوجوب قوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وقوله (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) وعلى من آنس في نفسه القدرة على نوع من أنواع العلوم أو الاعمال كالتجارة والصناعة أن يتقدم له ويجدّ فيه وهو فرض عليه . ومن العجب انك ترى ان الفطرة الانسانية أودعت فيها أسرار وحكم ووزعت عليها الاعمال وفى ظني انك لو راقبت الصبيان وأحصيتهم لاستخرجت منهم الاعداد اللازمة لحفظ كيان الأمة ولتجدن استعداد الهندسة والزراعة والطب والميكروب لكل فن منها عدد يكفى الامة كما خلق الذكر والانثى بلا دخل للخالق في تنويعها فهكذا فلتكن الامزجة واستعدادها للعلوم والصناعات بل لاشك فى ان هذا حاصل . ولو أن الحكومات راقبت الغرائز في إبان نشأتها لا لفتها كما ذكرنا . ولكان هذا أجمل ما حصلت عليه المدنية قال تعالى (فطرة الله التى فطر الناس عليها) (ولكل

وجهةهو موليها) ولما سئل صلى الله عليه وسلم قال « جف القلم بما هو كائن أو كان » قال رجل انتكل اذاً يارسول الله فأطرق برأسه ثم قال « اعملوا فكل ميسر لما خلق الله » اشارة الى ماقررناه الآن ومن ساعدته فطرته وقصر به ماله وجب على الامة اسعافه بالمال حتى يحيوا فطرته ولا تموت غريزته وهذا ما فهمناه من قوله تعالى (لا يكلف الله نفساً الا وسعها)

ومن هذا عرفت الواجب العيني والواجب الكفائي والصناعات كالعلوم فى الوجوب فيجب على كل فرد أن يتعلم صناعة والا عاش ذليلا وعوقب في الدنيا بالاحزان وفي الآخرة بالعذاب والحكومات مسيطرات فعليهن أن يلزمن الافراد بذلك وما دامت الامة تحتاج الى ابره أو محراث أو آلة بخارية من الخارج فهم يعاقبون في الدنيا والآخرة وهذا هو مذهب علماء الاسلام قاطبة

﴿ الجوهرة الحادية والاربعون ﴾

(الثامن عناية الدين بالعلوم)

مما سبق تعلم مقدار عناية هذا الدين بالعلوم العقلية

والكونية حتى إنك لترى ان مناط جميع الاديان في الامم السالفة إنما هي العبادات والصلوات وأشياء أخري ومناط هذا الدين . أولا وبالذات العلوم والنظر فى الكائنات لتربي في المرء ملكة الوجدان ولقد جاء فى التنزيل (وقل رب زدنى علما) وجاء في قصة الخضر وموسى عليهما السلام ان موسى قام خطيباً فى بنى اسرائيل فسئل أي الناس أعلم فقال أنا أعلم فعتب الله عليه . إذ لم يرد العلم الى الله . فأوحي الله اليه أن عبداً من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك. قال يا رب وكيف به فقيل له احمل حوتاً فى مكتل فاذا أفقدته فهو ثم وكان ما كان مما هو موضح في القصه فى البخاري . ومنها أن الخضر عليه السلام قال لموسى عليه السلام انى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت. وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه . ولما استويا في السفينة جاء عصفور فنقر نقرة أو نقرتين من البحر قال الخضر يا موسى ما علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور فى البحر وكان ما كان من العجائب التى جرت على أيديهما والحكم المودعة في قصتهما

أيقظنا هذا القول الى الاستزادة من العلم أمد الحياة وأن لا نقنع بما لدينا من العلوم . كيف لا وهذا موسى وهو نبي سافر للعلم . وهذا الخضر يقول أنت تعلم مالا أعلم وعلم الله لانهاية له . فالمرء مادام حياً ملزم بالتعلم من غيره حتى اذا استوفى علم المخلوق أخذ في الاكتشاف والاختراع . وقد قلنا أن آيات العلوم تبلغ أربعاً وعشرين ضعفاً من آيات العبادات وها نحن شارعون في تفصيلها كما وعدنا وهي تبلغ نحو سبعمائة وثلاثة وستين آية جمعها الغزالي فى بعض مصنفاته وسنذكر كل آية ونعلق عليها ما يناسبها عند الحاجة ونذكر ما أشارت اليه من العلوم فاذا تمت الآيات أحصينا عدد الاشارات للعلوم وجمعناه عدداً واحداً

وترى العبادات والمعاملات مائة وخمسين فاذا أسقطت ما جاء فى المعاملات لم تبلغ آيات العبادات مائة

وترى علماء الاسلام قصرت عنايتهم عن العلوم وهي فى نظر صاحب الشرع عليه السلام أهم وفى الآيات التى سأوردها إيماء لجميع العلوم كالفلك والتقويم والعلوم الرياضية والنبات

والحيوان والانسان والحكمة والتوحيد والطبيعة والكيمياء وغيرها من بقية العلوم التي تفتخر بها أمم العالم . ولعمري من قرأ هذه الآيات وتدبرها ينمو فى قلبه وجدان صحيح ويشب فى عقله حب العلوم وغريزة الفهم ويقبل عليها . ولا يكاد يتمها حتى يحس بوجدان إلهي وشوق لمبدع تلك العجائب وولوع وفرح بتلك الغرائب

وها نحن شارعون بحمد الله فى المقصود فنقول ان الآيات سترد عليك متتابعة تشمل النظر فى العلوم والتأمل فى الحكمة ولقد نرى فى الآية الواحدة آداباً وعلوماً فنذكرها لما غلب من علمها على آدابها

﴿ الجوهرة الثانية والأربعون ﴾

(سورة الفاتحة)

(بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) بدأ برحمة الله تعالى التى شملت العالم علوية وسفلية

وثنى الله على نعمائه ورحماته التي وسعت العوالم كلها . فشملت
الطير في وكره والوحش في فلواته . والنجوم في مداراتها .
والشموس في أفلاكها . فنحن نحمد الذى ربى هذا العالم تربية
مزجت رحمة عامة فتراه ربى النبات والحيوان والانسان
وأعطي كل نوع منها مايدوم به ارتقاؤه . ويلائم مزاجه فلم
تكن تربيته لعالم واحد منها (الحمد لله رب العالمين) وتحتاج
التربية الى رغبة ورهبة فقوله (الرحمن الرحيم) هي الرغبة
وهي ما أحاط بالانسان والحيوان في حياته من النعم الوافرة
والآلاء المتواردة والعطف والمنح الظاهرة والباطنة والرهبة
في قوله (مالك يوم الدين) فهو المالك للعالم يوم الجزاء والدهر
كله يوم جزاء للنوع الحي فلا حي الا وهو مجازى في كافة
لحظاته وحركاته وسكناته على ما قدمت يداه فيجني المرء مما
زرع في شبابه عند هرمه ويحس المقصر بألم في قلبه وفقر
وأفلاس في ماله والله هو المالك لنواصي الاحياء في حياتهم
وبعد موتهم فكأنه يقال الحمد لله على أن تربيته عمت الانواع
كلها . وشملتها الرحمة واللطف والعطف . ولم يذر العباد



وشأنهم بلا ارشاد وإيقاظ لئلا يفرطوا في ذنوبهم ويجمحوا
الى الشرور ويطمحوا الى الهلكات . فمحصهم بالقهر وانزال
المحن والبلايا على من لم يعتدل في سيره . فملك الله زجره .
وتولى بنفسه تأديبه فالهم (اهدنا الصراط المستقيم) ومن
شأنه الرحمة العامة والقهر العظيم نحن نطلب منه أن يهدينا الى
طريق استقامت جادته . ونجا سالكوه طريق من سعي
اليك فخلعت عليه من نعمك خلعاً . والبسته من رحمتك أثواباً
ومن رضاك جلباباً . فسبقت رحمتك غضبك لا صراط من
غالتهم غول العقاب والجزاء فغضبت عليهم فجهلوا جهلا مطبقاً
وجمدت قرائحهم على مالديهم من العلم . ولا صراط الذين ضلوا
السبيل فلم يهتدوا فقوله أنعمت عليهم يناسب الرحمن الرحيم
وقوله غير المغضوب عليهم الخ .. يناسب مالك يوم الدين
وملخص هذا الدعاء الثناء على الله بعموم رحمته العالم . وملكه
نواصيهم ونحن ندعوه أن يقودنا بالرحمة ويجعلنا ممن قادهم اليه
باللين والعطف والرأفة بأن نعرف نعمه وأسرار علومها فنهتدي
بها وننهج نهج من ساروا على نهج الاعتدال وأن يجنبنا

سوط غضبه بصفة القهر والسلطان التي لا ينقاد بها الا المجرمون الذين جبلتهم تنبو عن الكرم والرحمة ولا يقادون الا بسياط العذاب واللعنة

والناس في الدنيا قسمان قسم استقاموا وعلموا وادركوا وفهموا أولئك ساقهم الله بصفة الرحمة وقسم جهلوا وان تعلموا استعملوا العلم في التسفل واعمال الشهوات أولئك يقادون بسلاسل القهر والجزاء وعذاب الآخرة بصفة مالك يوم الجزاء علوم هذه السورة فن الحكمة إذ هو فن تدرس فيه عموميات العلوم وأصناف الموجودات ومبادئ العلوم

﴿ الجوهرة الثالثة والاربعون ﴾

(في سورة البقرة أربع عشرة آية)

الاولى (الذى جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) في هذه الآية أربعة أصول الأول كون الأرض فراشاً كناية من التمكن عن الانتفاع بها وهذا لن تنال معرفته الا بعلم طبقات الأرض ـ المعادن ـ

الجغرافيا ـ (الجيولوجي) وعلم المعادن (ميتريولوچي) والسماء وعلم تقويم البلدان (الجغرافيا) الثاني جعل السماء بناء وهذا مداره على علم الهيئة (استرونومي) الا ترى ان الهيئة تريك مجموعات الكواكب المنتشرة في فضاء السماء فترى للناظران هناك فضاء عظيما . ولا ريب ان هذا بمعزل عن البناء ولن يدرك عاقل ان العالم فوقنا بناء الامتى فقه سر الاثير المالئ للعالم المفروشة فيه الكواكب والشموس والأقمار كأنها مرصعة في أطرافه ولكنها مفروشة في جوانبه وأكنافه . ولولا هذا الجسم اللطيف الشفاف ما تألق برق ولا جرت كهرباء ولا كانت أسلاك تلغرافية ولا كان تلغراف (ماركوني) الذى ينقل الاخبار بلا سلك تراه . فهذا الخلاء الذي بين هذه الاجرام المنيرة ممتلئ بجسم لطيف لا تراه العيون ولا تخيله الظنون لا تخلو منه السماء ولا تخلو منه الأرض فهو بناء ثابت لطيف رقيق لا يتخلله أدنى شقوق (فارجع البصر هل ترى من فطور) وشأن البناء أجسام صلبة تتخللها أخرى لطيفة تماسك بها . الثالث (وأنزل من السماء ماء) وهذا

يسلك بنا أن ننظر في السماء وتكوينها وأقطارها وبرقها ورعدها وفيه علم الجو والسحاب والأنهار والتبخر . الرابع (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) وفيه الكلام على الثمار واختلافها لوناً وطعماً وقدراً ومنها دواء وغذاء وفاكهة وزيت وأدم وكيف كان تكونها وما أسبابها

﴿ الجوهرة الرابعة والأربعون ﴾

الثانية (هو الذي خلق لكم ما فى الأرض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم) في هذه الآية أصلان عظيمان . الاول ما فى الأرض جميعاً . والثانى تسوية السماء وجعلها سبع طبقات . الاول يحتاج الى علم المعادن والحيوان والنبات والانسان والعمران . والثاني علم الهيئة وكيف يتسنى لامرئ أن ينتفع بما أجنته الصخور وضمنته البحور وكمن فى الهواء واستكن في الماء من المعادن كالذهب والفضة والأحجار الثمينة والجواهر واليواقيت والمرجان والاسماك والكهرباء والاعشاب والغابات والسهل والجبل والقفر والسحاب والنبات والحيوان والانسان إلا اذا مارس فنون المعادن

وطبقات الأرض وفن الحفر واستخراج السائل المسمى بالبترول وغاص البحار ونظر ما فيها من المرجان والجواهر وعلوم الطبيعيات وقوله (لكم) داع حثيث للبحث والتنقيب والطلب ومتابعة الاكتشاف والجولان فى البر والبحر هذه الآية صورت الانسان بشكل الملك المسيطر والخليفة الثانى تسوية السماء وكونها سبع طبقات . أما تسويتها فأمر معقول بالهيئة يعلم بالنظر في الحساب والهندسة والجبر ويليها الفلك ولعمري كيف تعرف تسوية السماء وهندستها ونظامها وإتقانها الا بعلوم الهيئة وكيف تدرك الهيئة الا بالحساب والهندسة والجبر وهناك يدخل الانسان فى طور من الجمال مبهج يسره فهناك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقف على الماديات وجهل العقليات . وما أبهج نفس المرء اذ يعرف الشكل البيضاوي الذي تدور عليه الشمس والكواكب السيارة وما أسره حين يقف على دوائر الكواكب الثابتة بالبرهان العقلى . وكيف تتركب الشهور والسنون والقرون . وكيف يختلف الليل والنهار ويفهم إذ ذاك

ما تخردونه أعناق الملوك والجبارة الجهال . ولعمري ليس كل ناظر للهيئة قرير العين إلا انما ذاك الذى يدرسها ناظراً لحسن اتقافها ومحاسنها وجمالها . ولقد أودعنا فى كتبنا الأخرى من هذا ما فيه غني ولولا أن هذا الكتاب لقوم برعوا في العلوم لاطلنا المقام ولوفينا الكلام حقه . أما كون هذا البناء الرفيع سبع طبقات فهو سر يعلم بمجرد الظن كأن تقول ان هذه الطباق أقدار الكواكب باعتبار الذي درس في الفلك والتقويم والحساب والهندسه والجبر والكواكب وغير ذلك ولعل فى العلم بعد ما يكشف الغطاء عنه ولذلك أعقبه بقوله (وهو بكل شيء عليم)

﴿ الجوهرة الخامسة والاربعون ﴾

الثالثة (قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم) هذه الآية تفتح باب الاكتشاف واستطلاع ما ذرأ الله فى الأرض واشعار النفوس بان وراء ما علم الناس من المعارف حكماً وغرائب . فهذه الآية تتطاول اليها الأعناق وتشخص لها الابصار كما جاء فى مسألة الخضر الآنفة الذكر

بما نقص علمي وعلمك من علم الله الا كما نقص ذلك الطائر من البحر وقول الخضر أنا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت . وأنت على علم علمكه الله لا أعلمه أنا . اشعار للنفوس واستنهاض للهمم وتحريك للعزائم وايقاظ للعقول وتنبيه للافهام بما وراء علومهم من الاسرار والحكم وانا لا نستصغر فنا ولا نستحقر علما وانا لا نأنف ان نأخذ عمن تظن نفوسنا انها أعلم منه فالعلم باب واسع وبحر لا ساحل له وقوله (الا ما علمتنا) اقرار له بالشكر على ما نعلم عن علمنا واعتراف بان ما يتعلمه المرء من غيره أو من اكتشافه اسناده الى الله ومرجعه اليه ولا جرم ان المعرفة بالاستعداد والالهام والتعليم بعلم بشري راجعة الى الله مبدأ وغاية وفى هذه الآية صفة العلم والحكمة لله تعالى ويرجع الى فن الالهيات من الحكمة

﴿ الجوهرة السادسة والاربعون ﴾

الرابعة (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير) فيه ان القدرة لله وحده هو مالك السموات والارض ولا ناصر ولا ولي

سواه واعداد النفوس الى التشمير في العلم والعمل والثقة بالله تعالى . وفيه صفة القدرة من فن الالهيات والاعتماد على الله فى النصر ولا جرم ان الاتكال عليه كما أوضحناه مناطه الجد في الاعمال التي سنها الله فى العوالم واستخدام النواميس والاعضاء والآلات التي منحها الله لعباده والتنكب عنها جنوح الى ترك الانتصار به كما أوردناه آنفاً في حديث الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وابنا هناك ان التوكل اعتماد بالقلب وعمل بالجوارح وسير على السنن للعهود . وما سوى هذا جنف واثم وعدم ثقة بالله ونبذ لما سنه للبشر من القوانين وما شرعه من الاوضاع الكونية فاستنصر بهواه لا بما رآه مسنوناً طبيعياً

﴿ الجوهرة السابعة والاربعون ﴾

الخامسة (ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم) الله جل وعلا منزه عن المادة بريء من الاجسام تعالى عن الأبصار لا نراه بهذه العيون . فليس معنى ذلك اننا نرى وجهاً لله أينما حللنا أو ارتحلنا شرقا أوغربا بعيوننا

على اننا لو فرضنا ما استحال وكان له وجه ينظر بالابصار وتمتد اليه الاشعة وتقابله الوجوه وله عينان وأذنان وفم وأنياب كما للآدميين . كيف نراه في الشرق والغرب ونرى هذا الخطاب عاما لكل من له بصر وعقل والآدميون على وجه الكرة الارضية يبلغون نحو مليار ونصف . فكيف يرى كل منهم وجهه الواحد واذن رجع الأمر ان ادراكه بالبصيرة لا بالبصر ووجهه ما يستشعره المرء في آيات الكائنات من الجلال والجمال الطالعة على وجه الطبائع الجميلة في الكرة الارضية والاجرام السماوية . وهذا معنى ما رسمه رسول صلى الله عليه وسلم من قوله « اذكر الله عند كل حجر وشجر » وهو ايقاظ للعقول وتنبيه لها ان كل ما نراه تشعر العقول بأثر خالقه فيه فكل نظرة أو فكرة فيها يثاب المرء عليها بهذه فللمرء في فكرته جزاء جميل من الخالق وهي عبادة فاذا غلب على فؤاد شعور أثر الخالق فيما يراه من العالم تربت له ملكة حب الله عز وجل وزاد يقينه فليشمر للعمل واثقاً بالخير فى دنياه والرضا فى اخراه وختم المقال بانه واسع عليم تحريض على

استطلاع خبايا العلوم وكشف الاسرار والاكتشافات واذا كان لله وجه فيما تراه العيون وتسمعه الآذن أو تدركه البصائر فآثاره تنم على كل كائن ولا جرم ذلك يدعو للجزم بأن لتلك الكائنات أسرارا لما لله فيها من الوجه والسر والحكمة واذا كان الله واسعاً فى قدرته وعلمه محيطاً بأسرارها فلاجرم ان كل مالدينا من الكائنات فيه من الحكمة المودعة مالا يستقصى وكلما وقفنا على سر فلنذكر قوله تعالى (فثم وجه الله) ونوقن ان وراءه أسراراً اذ وجه الله لايزال فيه (والله واسع عليم فاذا اكتشفت الاناسى الف سر قالوا (فثم وجه الله) فليكن ماوراءها آلاف حكمة . وهذا ماقاله أحد أعضاء المجلس العلمي البريطانى فى أول هذا القرن اذ قام خطيباً فقال كانت العناصر أربعا فى الأعصر الغابرة فقدوصلت الي نيف وسبعين وتشعبت فروع العلم وأصبح كل عنصر يدعو الى التنقيب عن أسراره فلعله مركب من عناصر وهذا الهواء كان بسيطاً فصار مركبا من مادتين ثم وصل الآن خمساً الاكسجين والازوت وبخار الماء والفحم ومادة خامسة «أرغون» فيما

أظن وقال كل واحدة منها تستدعي سيراً حثيثاً عسى ان يكون وراءها تحليل وتحل الى عناصر وتحسب أصلا كالهواء وتسير سيراً لا نهاية له ولا غاية لمداه . فليشمر الانسان فى البحث عسى أن يكون في قوى نفسه وفى الكائنات حوله ما تنبعث منه أشعة جديدة وقوى مودعة ولا يقف عند حد فى قوته ولعل فى نفوسنا أسراراً وحكماً فليجد فى الرقي والعلوم ولا يقفن رجل عن العلم والعمل لحظه فلعل فى نفوسنا وهي أجمل العالم قوى وراء ما وصلنا اليه وأنا أقول قد تجدد لي نشاط في نفسى عند كتابة هذا الموضوع وأملت ان أنال من القدرة والعلم شيئاً بعد مانلته . واذا كانت الذرات في الطبيعة تبدى عجائب لن تقف عند حد محدود وتحدث كهرباء وعجائب فما بالك بنفوس أشرف مانراه وأجمل ماأودع فى الكائنات ولعل فى نفسك أيها القارىء من القدرة والقوة مالم يكن ليخطر ببالك وكم من ضعيف ظهرت على يديه أعمال خرت لها الأقوياء سجداً وكم من رجل لا يؤبه به جد وأعمل الفكر فأنار للعالم مصابيح من أشعة علمه وسن لهم قوانين من حكمه كامنات

وفي التاريخ من هؤلاء كثير وذلك لما لله في العالم من الوجه وشمول علمه وسعة قدرته لها ولن يتناهي مافيها وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لأ قاتلنهم ولو وحدى » ويقول الله لنبيه (وقل رب زدنى علما) وهذا نابليون يقول — لامستحيل —

﴿ الجوهرة الثامنة والاربعون ﴾

السادسة (وقالو اتخذ الله ولداً سبحانه بل له ما في السموات والارض كل له قانتون) لا ولد لله فالناس سواء فى الحقوق ملوكهم وسوقتهم خاصتهم وعامتهم فلا مسيطر الا الله ولن تري مخلوقا الا وهو قانت مطيع لله طاعة تسخير وسير على قانون سنه فى الطبيعة مسلط عليه الشهوات والهمه مايقيم به حياته فهو محاط بالهواء والشمس والحكومة والامم تجرى عليه شرائع الطبائع وقوانين الحكومات فلن يخرج عن هذا السنن الامن تجرد عن المادة وهو مدبر هذه الاجرام وكل له قانتون مسخرون ساجدون كما قال في آية أخري (ولله يسجد مافي السموات وما فى الارض من دابة والملائكة وهم

لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون مايؤمرون)

﴿ الجوهرة التاسعة والاربعون ﴾

السابعة (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) يقول يامحمد أن الله مطلع عليك وسيدفع عنك كيد الكائدين اذهو السميع لما تقول ويقولون العليم بما تعمل ويعملون وسيظهر الحق ويخفى الباطل عدة للمصلحين فى الامم بالنصر وظهور الحق وهذه مسألة نخر بها الغربيون من قولهم لا يبقى الا الاصلح ولا بد من ظهور الحق وخفاء الباطل صرح بها الله لنبيه قائلا سأنصرك فاني عالم ماتعمل وقد أجريت سنتى ان أرفع الحق وأخفى الباطل

﴿ الجوهرة الخمسون ﴾

الثامنة (صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) صبغة الله هي معرفة الدين والعلوم ويقول لاأحسن من صبغة الله ونحن له عابدون

﴿ الجوهرة الحادية والخمسون ﴾

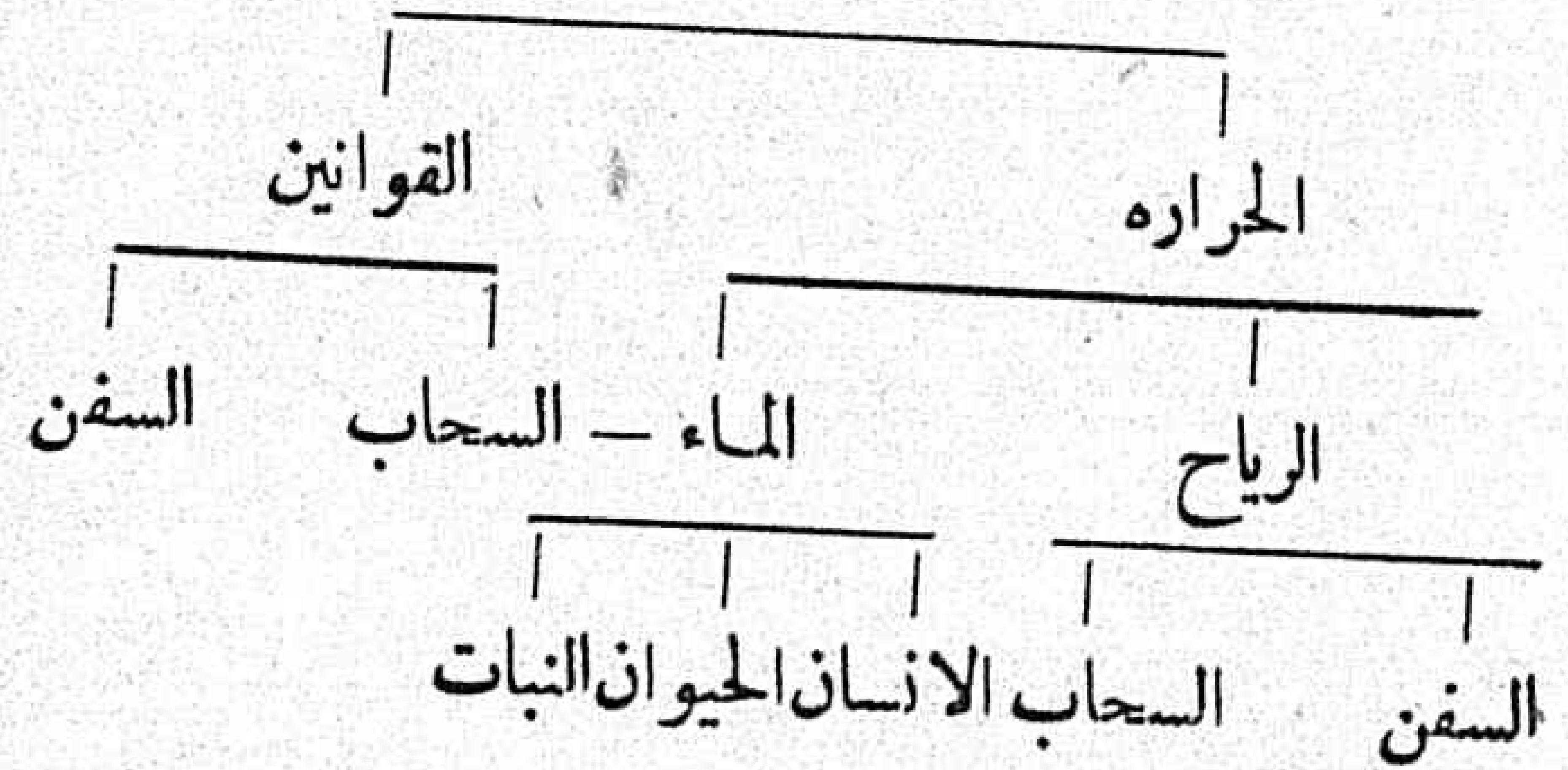
التاسعة والعاشرة قوله تعالى (والهكم إله واحد لا اله

الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض
واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع
الناس وما أنزل الله من السماء) الى قوله (لآيات لقوم يعقلون)
صدر هذا القول بتوحيد الله وأردف بعده صلة العالم بعضه
ببعض فابتدأ بالفلك وثني بالطبيعة وجعلها مرتبطة منظمة
كأنها انسان واحد وحيوان واحد ونبات فترى كل كائن
مستمد من سواه فاختلاف الليل والنهار بالزيادة والنقصان بقرب
الشمس وبعدها في البروج الشمالية والجنوبية يدعو الى
اختلاف الحرارة والبرودة فى الاقطار المتباينة وهبوب الرياح
فترى الامطار تتساقط من السماء تبعاً لنواميس الحرارة والبرودة
المسخرين لناموس الافلاك وسير الشمس في البروج فتنشأ
ممالك النبات والحيوان والانسان من ذلك الماء وتهب الرياح
فتسير السفن كما تسير السحب ولكل قوانين فى سيره فترى
السفن لن تتجاوز مارسم لها الملاحون فى رسومهم من الخطوط
البحرية ولن تعدو السحب طريقها المرسوم لها بالنواميس
الطبيعية رحمة للناس وهذا جميعه مرتبط بالعلويات وكيف

تسير السفن الا بالقوانين البحرية المستخرجة من علم الافلاك
ومراقبة الاطوال والعروض والنجوم وسير الشمس وملاحظة
الاجرام العلوية وتمغطس الابرة المتجهة الى القطبين أم كيف
يتحرك السحاب الا بالرياح وهي المسخرة بالحرارة المنبعثة
من الاجرام العلوية فرجع الامر كله الى أصل نجم عنه فرعان
كلاهما له فروع الاصل اختلاف الليل والنهار بالحركات
الفلكية والفرعان القوانين المودعة فى الاجرام العلوية والحرارة
المنبعثة على الكرة الارضية . ومن الأول نشأ فرعان سير
السحب وسير السفن بالقوانين البحرية لرقي التجارة بتبادل
المنافع بين الامم فيأخذ الشرقي ما نبت في الغرب ويأكل
الغربي ما نبت فى الشرق ومن الثانى فرعان اثارة الهواء والماء
فحرك الهواء السحاب والسفن وتبخر الماء بالحرارة فعلا في
الجو فهبط ماء على اليابسة وكان الحيوان والنبات منه
وهذه صورته

.





فترى هذا العالم على هذا النسق كرة واحدة وشكلا واحداً يحتاج أدناه الى أعلاه والاعلى مفيد للاسفل والاسفل مستمد من الاعلى مستفيد منه كما ظهر في هذا الشكل واذا كان هـذا شكل النظام الذي فى عالمنا فمن الأقرب للعقول أن نهج النظامات الاخرى على هذا النمط وعليه فأصبح هذا العالم لدى العلماء والمفكرين كجسم واحـد له روح وقلب وأعضاء متحركة وحرارة وهل دورة المياه والرياح المسخرات ودورات الشموس والاقمار إلا كما يدور الدم في أجسامنا فاذا أبصرنا بعقولنا أدركنا العالم كإنسان واحد وحيوان واحد له رأس وأعضاء رئيسة ومرؤوسة ولا يعقل هـذا الا من

درس من كل فن طرفاً ثم مزج العلوم وربطها ثم قارنها فهناك يدرك هذا القول ولا جرم أن الجسم الواحد مديره واحد فارتباط العوالم واستمدادها يدل أن مدبرها واحد

وتأمل كيف يقول (والهكم اله واحد الخ) ثم يعقبه بهذا الشكل المنتظم من الكائنات الصائرة مزاجاً واحداً فها هو يقول الهكم واحد ولن تستشعروا هذه الوحدة الا اذا قرأتم العلوم وعشتم بها وصورت في عقولكم شكلا منظماً كما وضعناه فتدركون مزاجه وجسده ومنه تعرفون أن المدبر واحد ولقد رأيت علماء اليونانيين يطنطنون بأن العالم واحد ويبرهنون ببراهين قاحلة يابسة خلت من العلوم والحكمة على عادتهم فى مثل ذلك وقسموه اعراضاً وافلاكا وجواهر ثم يقولون لن يمكن فى العقل وجود سوى مارأينا فاذا كثرت العوالم فهى من هذه الاجزاء ولم أرهم يحومون حول ارتباطه الطبيعي .

هذه الآية تحرضنا على العلوم وانظر كيف تبعتها أخرى كشفت القناع عن العمران الناجم عن هـذه العلوم وعن

سياسة الامة ونظامها ومحاورة عجيبة بين الرؤساء والمرؤوسين
وتوصيف مايعتور الامم الضالة فى العقائد يقول (ومن الناس
من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا
أشد حباً لله) الناس قسمان عقلاء يجدون فى عقولهم موجداً
واحداً نظم نظاماً عجيباً واحداً فتعشقه قلوبهم وتميل اليه نفوسهم
وينالون من المعارف ما تمتلئ به نفوسهم فرحاً وتستنير
أفئدتهم وينالون يقين النعيم والعقيدة المنيرة للافئدة وهي
وحدة النظام وتنظيم مدنهم بوضع الرؤساء والمرؤوسين
كلا في موضعه اللائق ومكانه المستعد له ودرجته التى
يستحقها بمحض استعداده وجده كما نظمت هذه الكائنات
على هذا النمط ومزجت جسما واحداً وشكلا منظما فبالمعني
الأول يعشق الخالق ويحبه حباً مفرطاً لحسن النظام والرأفة
والجمال والبهاء والكمال حبا لا يعتوره فتور باقيا مابقي النظام
متزايداً ما تزايد الاحساس بالحكمة و الغرائب المدهشة
وبالثانى تدوم المدينة وتعم الحضارة لثباتها ورسوخها رسوخ
الجبال لابل أقوى وأثبت وأدوم لبنائها على أس الحكمة التى

بنى عليها هذا العالم وعلى هاتين المقدمتين ترى الآيات المتتابعة
المتناسقة بعدهذه فصلت الامرين فقال فى المعنى الاول (ومن
الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين
آمنوا أشد حباً لله) وهم أولئك المقلدون لرؤسائهم العابدون
لاله لا يدركون سراً من أسرار خلقه فحبهم فى الحقيقة
لرؤسائهم وهكذا عباد الاصنام والحيوان والنار والشمس
والقمر تراهم يحبون ماعبدوا لدوام اعتيادهم واستمرارهم وتمرنهم
على تلك العبادة وخضوعهم وخشوعهم فتطير أفئدتهم شعاعاً
وتقطع حسرات اذا أهين ماعبدوه ولكن الذين قرؤا ماسطر
فيما وجد من العلوم وعرفوا صنائع العالم أشد حباً لله لأنهم لم
ينقص دليلهم ولن يهن حبلهم ولن يزول معتقدهم أما أولئك
الوثنيون فهم أقرب زلزالا لظهور الصواب لهم بالبرهان وما
أهون الحب لتلك الاوثان اذا قام البرهان وأشار الى المعني
الثانى بقوله (ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب ان القوة
لله جميعاً وان الله شديد العذاب اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين
اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا

لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار) تهويل لحال الظالمين فى عقائدهم الجاهلين بما حولهم المقلدين لرؤسائهم الناظمين لمدنهم نظاماً يديره الرؤساء حسب أهوائهم لما أذعنوا لهم بالأسر وخضعوا لما يتراءى لهم على أيديهم وما يسطر عنهم من الاعاجيب المدهشة وما يختلقه سدنة الوهم عنهم لغرض أنفسهم يقول لورأى هؤلاء الجاهلون ماسينزل عليهم عند حلول النقمة بهم بتمزيق جامعتهم في الدنيا وتقطيع أفئدتهم بالحسرات والنيران في الآخرة حينئذ يرون أن أولئك الرؤساء مثلهم ما كان بيدهم الا تلك الاصنام والآلهة والأوهام المفتراة والضلالات المكذوبات والسنة الطالحة وهناك تكون الحسرات وهناك تتقطع القلوب وتزول الالفة والجاه وتذهب أيدى سبا ويغلبها قوم آخرون ويستعبدها الاجانب المالكون ويشغلها القاهرون الظالمون ويضرب على ايدي سدنتهم وحينئذ يستصرخ الضعفاء بالاقوياء كما تراه فى كل أمة أفل نجمها وغاب سعدها وأدبر عزها وأقبل ذلها يقولون هانحن

استسلمنا لكم صاغرين فيما مضى فهل أنتم مغيثونا من عذاب عدو حاكم وفاتك غشوم أقبل فيقولون دعونا وشأننا انما نحن أذل منكم نفسي نفسي لا نملك لكم ضراً ولا نفعاً وهذا القول كما يصدق على عذاب الآخرة نراه ونسمعه كل يوم فى انحاء العالم عند تفاقم الخطب وحلول الكرب فى الامم الضالة التى سيقت بسوط العذاب الى الخزي والدمار فيندم التابعون ولات ساعة مندم يقولون . ياليت لنا رجعة الى الدنيا ومثلها الرجوع الى الاستقلال فى الحياة . فلنعرف أخبار أنفسنا ونفكر لها ولا نقلد من غشوا على أبصارنا وسامونا الخسف . نسمع هذا القول فى الدنيا من عامة الدول حين يدهم بلادهم عدوهم يقولون وقد يئسوا من رؤسائهم لو اننا استرددنا بلادنا ماسلط علينا رؤساء ظالمون بل أدرنا الملك بأيدينا وفكرنا لأنفسنا وجعلنا الرئيس وكيلا لا مسلطاً ولا تظن ان هذا المقال خارج عن موضوع الآية فانها وقد صرحت بعذاب النار ومحاورات الرؤساء فى الآخرة فانما ذلك صورة لما يحدث في الدنيا (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا)

فالنفوس في هـذه الدنيا هي التي في العالم الآخر وعقولها وأفئدتها سواء هنا وهناك فأشار بعدها الى تساوي النفوس في العقول اذ قال (يا أيها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين)

﴿ الجوهرة الثانية والخمسون ﴾

الحادية عشره (واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعان)

ولما وصلت الى هذه الآية بدالى ان اجعلها نهاية هذا الجزء من الكتاب وانى أضرع الى الله ان يقدرنى ان اسلك فى تفسير القرآن كله على هـذا النمط الذي أشار اليه الشيخ الغزالي رحمه الله فى أجزاء تتلوا هذا الجزء ان شاء الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله

تم الجزء الاول من جواهر القرآن والعلوم تأليف الشيخ طنطاوي جوهري مدرس اللغة العربية بالمدرسة الخديوية بالقاهرة بمصر

﴿ مؤلفات للمؤلف ﴾

(١) كتاب نظام العالم والامم

كتاب أودع فيه من صنوف حكمة الشرقيين وجواهر ابداع الغربيين مايشف عن البهاء والجمال لخصت فيه حكمة الرئيس بن سينا وملح ورقائق من كتاب جمال الطبيعة للعلامة الشهير اللورد ايفيري الانجليزى والعلامة الغزالى حجة الاسلام وأجمل ماراق من العلوم الشائعة بين الامم فاذا شاقتك نفسك ان تنظر في غرائب الحساب وفلسفته مع النفس أو تصل الى سر الاحجار والاشجار والنبات وغرائب الحيوان وابداع الكواكب والافلاك فانظر في رياضه وابتهج بلألائه وفيه تقرأ سياسات الامم ومحاورتها ووحدتها وما الضالة منها وما الفاسقه وطرق التعليم القديمة وما يجب لتلافي هذا الخطب المحدق الى غير ذلك مما يريك سر الله في مصنوعاته وسياسته في الامم جيلا بعد جيل وقرنا بعد

قرن فهو روض نضير ماؤه نمير وجنى جنتيه دان فبأى آلاء ربكما تكذبان وقد أهداه الى ادارة الحلميه وهو يباع تبع الادارة بمبلغ خمسة عشر قرش صاغا ويستلم الدافع جزءا الآن وعند تمام الطبع يكون الثمن عشرين قرش صاغ (والعنوان هكذا) (ادارة أوقاف الحلمية بشارع خيرت بالطرقة الشرقية بمصر)

ويطلب الكتاب أيضاً من محل تجارة الحاج محمدأفندى ساسي بجوار محافظة مصر .

(٢) ميزان الجواهر

(٣) جواهر العلوم

هذان الكتابان بقيت منهما نسخ عند حضرة الشيخ على أبى النور الجربى الواعظ الشهير فلتطلب منه وربما طبعا بعد ذلك وقد جعل القيمة للاول ٦ قروش صاغ وللثانى ٤

(٤) جمال العالم

هذا الكتاب وصنعه المؤلف على هيئة محاورة جميلة

بين رجل عاشق للحكمة شاك فى نظام الدنيا وهيئتها وترتيب مافيها وأستاذ مرشد وفيه من غرائب الحكمة ما يرقي به الناشئ الى الحكمة والفضيله وهذا الكتاب نفدت نسخه وسيعاد طبعه

(٥) النظام والاسلام

وهو مقالات جمعت بين العلوم والعمران والحكمة والفضيلهوهذا الكتابسيعاد طبعه وهومعلوم للخاصة وأهل العلم من الامة

(٦) المقالات الاصمعية المشهوره للمؤلف

(٧) العقد الثمين فى آراء العرب ومذهب داروين

هاتان المقالتان أدرجتا فى كتاب نظام العالم والامم وهو الكتاب الجامع الذى ذكرناه آنفاً

المقالات الاصمعية قد كشفت عن وجوه قلب نظام التعليم وأزاحت الستار عما يجب اتباعه على المسلمين فى هذه السبيل وأما العقد الثمين فقد أبان حقيقة مذهب داروين وأبان انه هو بعينه مسئلة دائرة الوجوه عند

علماء الاسلام وأن بينهما اتحاداً من جهة وافتراقا من
أخرى فأزاح اللبس وكشف الستار عن عين الحقيقة

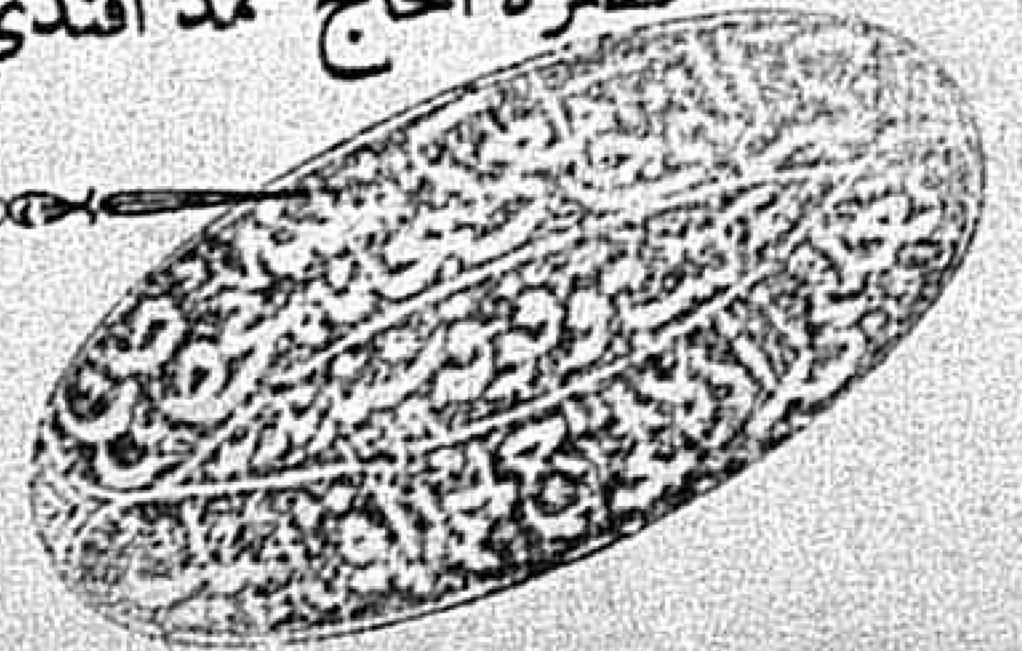
(٨) المقالات الرازية التى نشرها المؤلف من قبل وهى من
ضمن نظام العالم والامم

(٩) الزهرة هى ملخص كتاب نظام العالم والامم
وضعها المؤلف فى وريقات قليلة نحو الثلاثين ليعلم منها
غرض الكتاب اذ لم يسمح للقارئ الزمن بقراءته
وهذان أيضاً أدرجا ضمن نظام العالم والامم وكانت
الزهرة قد طبعت منفرده

(١٠) المقالات الجوهرية مقالات المؤلف ستطبع
قريباً وهى في الامور العامة العمرانية والعلمية والادبية

(١١) الفرائد الجوهرية فى علم النحو ومن هذه نسخ عند
الحاج فرج الزيات بجهة السيده زينب بمصر

(١٢) التاج المرصع وهو هذا الكتاب الذى طبع على نفقه
حضرة الحاج محمد افندي ساسى المغربى



وقد عزم المؤلف على أن يوالى اصدار أجزاء منه متتاليه
فى تفسير القرآن على النمط الذى توخاه والنهج الذى انتهجه
بحيث يظهرما في الآيات من علوم حديثه وآراء حكمية وآداب
وعمران ومحاسن القرآن وبدائعه ومزاياه جلية واضحة شارحة
للعلوم الحديثه مطابقة لها تمام المطابقه وربما نعلن عن ذلك
من بعد

﴿ الحاج محمد افندي ساسى المغربى التونسى ﴾





فهرست الكتاب

صحيفة

صحيفة

اصلاح خطأ

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٨	٤	دوجت	درجت
٩	١٢	حصلنا	حصلناها
١٨	٩	الحاهلين	الجاهلين
٢٤	١٥	صروفا	حروفا
٢٧	٧	نعم	نعم
٣١	٢	يقطن	يفطن
٣٣	٩	كتابكم	كتبكم
٥٠	٦	خمس	ثلاث
٥١	٢	الغرابى	الفارابى
١٥	٤	وهذا	وهكذا
٥٩	٤	وأ كتف	ولم أ كتف
٥٩	٥	يحثوا	بحثوا
٧٨	٧	وصكذا	وهكذا

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٨٣	٥	قسطاس	فسطاط
٨٥	١٣	محل	محال
٨٧	٥	قسم	أقسم
٩٨	٦	والأموال	من الاموال
٩٨	٧	والتى	التى
١٠٠	٨	شهد	مشهد
١٠٠	٩	أولا	أي لا
١٠٠	١٥	وجعلنا	واجعلنا
١٠١	٦	بترك	يترك
١٠٤	٩	وصية	وصية مكرر
١٠٥	٩	سورة	كل سورة
١٠٧	١	بقسطة	بقسطه
١٠٧	٣	المتمدنه	المتمدينه
١٠٧	١٠	واللسان	والسان ربا
١٠٩	١٣	كانت	كان

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١١٨	١٠	للتطيب	للتطبب
١٢١	١٣	سيطراً	سيطر
١٣١	٩	لنفس	للنفس
١٣٣	٣	اذا	اذ
١٣٣	١٦	فأينما	فانما
١٣٨	٧	أصروا	أصر
١٣٨	١٤	الشفعة	الشفقة
١٤١	٤	وكان	فكان
١٤١	٧	كلا	كلأ
١٥٠	١	خرق	خوارق
١٥٠	٩	علم	علمه
١٥٠	١٣	قد	وقد
١٥٣	١٢	أولادكم	أموالكم
١٥٤	٥	للحيله	بالحيه
١٥٤	١٠	لا يعوصون	لا يغوصون

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٥٧	٤	اطلب	طلب
١٦١	٨	كيف به	كيف لى به
١٦١	٩	افقدته	فقدته
١٦٢	٦	العلوم	العلوم ونحوها
١٦٢	٧	وهي	وآيات العلوم
١٦٣	١٦	علوية وسفلية	علويه وسفليه
١٦٤	١	وثنى	وثنى بحمد
١٦٦	١٥	من التمكن عن	عن التمكن من
١٦٧	٨	ولكنها	...
١٧١	٦	تظن	نظن
١٧١	٨	عن	من
١٧٤	٣	علي	...

(تنبيه عام)

كتاب ميزان الجواهر وجواهر العلوم يباعان في محل محجوب هنداوي تاجر ورق بالحمزاوي بمصر بجوار جامع المغربى • وثمن الاول ٦ صاغ وثمن الثاني ٤ صاغ

﴿ تنبيه عام ﴾

كتاب ميزان الجواهر وجواهر العلوم يباعان في محل محجوب هنداوى تاجر ورق بالحمزاوى بمصر بجوار جامع المغربى . وثمن الأول ٦ صاغ وثمن الثانى ٤ صاغ

(١) نظام العالم والامم تأليف المؤلف يبلغ نحو ٩٠٠ صفحة وثمنه ١٥ قرشا صاغا ويطلب بعنوان (ادارة الحلمية بشارع خيرت بالطرقة الشرقية بمصر)

(٢) النظام والاسلام ويطلب من المكاتب الشهيرة

(٣) جمال العالم نفدت نسخه وسيطبع

(٤) بيان بقية الكتب فى آخر هذا الكتاب